الشعر النسوي في الأندلس

تأليف

محمد المنتصر الريسوني

قدم له

العلامة عبد الله كنون

منشورات دار مكتبة الحياة

الشعر النسوي في الاندلس

الشعر النسوي في الأندلس

تأليف

محمد المنتصر الريسوني

قدم له

العلامة عبد الله كنون

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

أخذت **دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر** ، على عاتقها منذ ثلث قرن ، أن تتجاوب مع القارىء العربي ، وأن تلبي رغباته ، وأن تدفع له دائماً كل جديد في عالم الفكر والثقافة ، والحضارة والفن .

وها هي اليوم ، تسترد نشاطها بَعْد التوقف القهري الذي عم كل المرافق والمؤسسات اللبنانية قرابة السنتين ، وتفتتح اعمالها النشرية ، بأن تقدم للقارىء العربي ، كتاباً جديداً في بابه ، جديداً في موضوعه ، جديداً في سبك مادته وطريقته العلمية واسلوبه الادبي ، انه « **الشعر النسوي في الاندلس** » .

وعلى الرغم من أن الحديث عن الكتاب ، حديث شيق ، وجذاب ، وأنيق ، كعنوانه ، إلا أننا سندع الكتاب يتحدث عن نفسه بين يدي القارىء ، وأمام سمعه وبصره ؛ إذ ليس اصدق منه في التعريف عن ذاته وتقدير قيمته.

إلا أننا لا نجد بدأ من القاء بعض الاضواء على الكتاب :

لقد أطل فيه مؤلفه الاستاذ محمد المنتصر الريسوني ، اطلالة شاملة على بلاد المجد المفقود ، ودرس فيه كل المراحل التاريخية التي عاش شعبنا العربي في ظلها هناك ، وتملّى من ينابيع الآداب ، واستعرض الحركة الشعرية

وتطورها ، وألقى الاضواء الكاشفة على خصائصها واغراضها وجوانب براعتها وتفوقها واستخلص من كل ذلك أضمامة ساحرة من شواعر الاندلس بلغت خمساً وستين شاعرة ، كن يملأن اجواء الاندلس ، عبر سائر عصورها ، بالسحر الحلال ، ويُفِضْنَ عليها آيات الفن والجمال والرقة ويقدمن ، بأعمالهن الشعرية دلائل الرقي الفني ، الذي تتصف به الحياة الادبية في الاندلس ، والتقدم المدهش في ميدان صياغة الكلمة ؛ واستخدام الوزن والقافية ؛ واستعمال الاساليب البيانية العالية .

وسيجد القارىء أن مؤلف الكتاب ، قد حالفه التوفيق ، سواء في عرض الاحوال الاجتماعية التي نما في ظلها الادب النسوي في الاندلس ، أم في الطريقة التي عرض فيها تراجم النساء الشواعر وناقش اعمالهن الشعرية . ففي الجانب الأول طرح الموضوح طرح الخبير الحاذق ، وفي الجانب الآخر كان حريصاً على المنهجية العلمية وعلى التزام الموضوعية ، وعلى الامانة في النقل ، وعلى العدالة في الاستنتاج .

وسيجد القارىء ، بالتالي ، أن المؤلف لم يقف مكتوف اليدين ، حيال بعض الآراء أو الاحكام التي ظهر خطلها أو خللها ، بل تصدى لها بالترجيح أو بالتصحيح مرتكزاً الى عنصري : المنطق والبحث العلمي المجرد .

وعلى الجملة ، فان خير ما نقوله عن الكتاب أن نحيله على القارىء نفسه ، تاركين له ، وهو صاحب الكلمة الفصل ، تقدير الكتاب من خلال مطالعته ، وتثمين مادته من خلال قراءتها .

شيء واحد ، نجرؤ على الجهر به وهو أننا فتحنا بكتابنا هذا ، « **الشعر النسوي في الاندلس** » نافذة جديدة على تراثنا الادبي ، وعلى تاريخنا الحافل في الاندلس ، وكشفنا جانباً جديداً من حضارتنا التليدة ، ولا شك أن هذه الخطوة يجب أن تتبعها خطوات اخرى ، لتحقيق المزيد من الكشوف العلمية ، والمزيد من الاضواء على الجوانب المغمورة من تراثنا .

فنسأل الله تعالى أن يكتب لنا التوفيق في هذه الخطوة ، وفي الخطى الرائدة المماثلة ، في عالم النشر ، وخدمة الثقافة العربية ، والفكر العربي ، والتراث العربي .

وهدفنا ، بعد الالتزام بالرسالة التي نذرنا لها انفسنا ، ومؤسستنا ، أن نرضي القارىء . وأن نواكب تطلعاته ، وهواياته الفنية والادبية ، وأن نقدم له كل جديد ، وكل ممتع ، وكل مفيد .

واملنا كبير أن يقع كتابنا هذا من القارىء موقع الرضا والقبول .

والله تعالى المستعان وعليه الاتكال ومنه التوفيق .

الناشر

دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر

مقدمة

بقلم

العلامة السيد **عبدالله كنون** عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

والامين العام لرابطة علماء المغرب

هذا كتاب جميل عن موضوع جميل في بلد جميل . ومن منا اذا ذكرت الاندلس لا تهفو نفسه الى جمالها وتاريخ أجداده فيها ، والحضارة الزاهرة التي أنشأوها على ارضها ؟ ومن منا لا يدغدغ القول الجميل عواطفه ، خصوصاً اذا كان شعراً ، وخصوصاً من خصوص اذا كان شعراً نسوياً ، وهو شعر عزيز الوجود نادر جداً بالنسبة الى الشعر الرجالي في كل اللغات ؟

اما جمال الكتاب فان مؤلفه شاب متأدب نابغة ، هو الاستاذ **محمد المنتصر الريسوني** وقد أضفى عليه من روحه المتوثبة وعواطفه المتأججة ، ما جعله في مستوى الموضوع والبلد الجميلين .

ان موضوع الشعر النسوي في الاندلس موضوع شائق ، ألمع اليه الكتاب ومؤرخو الادب الاندلسي ولكنه لم يسبق أن أفرد ببحث مستقل وكتاب خاص . وقد قام بهذه المهمة مؤلفنا الشاب ، وحسناً فعل فأعطاها ما تستحق من العناية ، وصرف إليها جهده ، فما عتم ان طلع علينا بهذا الكتاب الذي هو باكورة إنتاجه في عالم التأليف ، وقد جاء في حسنه كِفَاءَ الحَسَنَيَيْن : الشعر النسوي والاندلس .

لم يهجم السيد المنتصر على موضوع بحثه هجوماً ، بل مهد له بما هو منه

بسبيل ، كهذا الفصل الذي عقده لشاعرية المرأة العربية ، وتحدث فيه حديثاً خفيفاً عن براعة شواعر العرب . ملاحظاً قلة العناية بأخبارهن ، وان كان ذاك بالنسبة للعناية بأخبار شعرائهم . وقد قلنا ان الشعر النسوي في ذاته قليل اذا قيس بالشعر الرجالي ، ومع ذاك فالمجموعات الشعرية المعروفة لا تخلو من اشعار رائعة لجماعة من النساء . وكتاب الأغاني حافل بالحديث عن غير واحدة من شواعرنا القديمات والمحدثات . وألف الاستاذ **بشير يموت** كتاب « **شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام** » فذكر العشرات منهن .

ثم عرض مؤلفنا للكلام على الشعر الاندلسي في العموم ، فألمّ في فصل مركز بنشأة هذا الشعر وخصائصه ، وقيمته الادبية بالمقارنة مع الشعر العربي في المشرق ، فلم يذهب في حكمه عليه مَعَ المتطرفين ولا مع المفرطين . وإنما وضعه في ما وضعه فيه النقاد المنصفون ، فهو في أوله كان امتداداً للشعر المشرقي ، وفي آخره لم يقصر عن غاية في التجديد والابتكار .

ومن هنا تخلص للموضوع المقصود بالذات مبرزاً له في صورة انطلاقة ونهضة ادبية نسوية تمخض عنها المجتمع الاندلسي في عصر الإمارة ، وهكذا قدم لنا الشواعر اللائي نبغن في هذا العصر ، ثم في عصر الخلافة ، ثم في عصر ملوك الطوائف ، ثم في العصر الموحدي ، وجملتهن اثنتان وعشرون شاعرة .

والمهم هو طريقة هذا التقديم ، فهو يتحدث عنهن كما لو كن عائشات بيننا بكلام مهذب لطيف ، ويحلل أشعارهن بعبارات وجمل من الشعر المنثور ، ويأخذ ويرد مما تَنَاوَلَهُنّ به الإخباريون ونقلته لنا دواوين الادب ، كما يناقش افكار بعض الكتاب المعاصرين الذين أطلقوا أحكاماً غير صائبة في حق بعض هؤلاء الشواعر مع الرجوع الى النصوص المعتمدة ، وتحكيم النظر وقواعد النقد في كل قضية هامة من هذه القضايا ، بحيث لا تُشَمّ من كلامه رائحة تعصب ولا تحامل. وهذا الى نسبة الفوائد الى أربابها وعدم تبني أفكار الغير ، واهتضام جهود الباحثين قبله كما يفعل بعض محترفي الكتابة والتأليف الكسالى والعاجزين !..

فالكتاب بحث ادبي جميل ، يفيد منه عموم القراء ، ولا يستغني عنه خواص المتأدبين ، ناهيك بالفصل الذي تضمنه عن وَلاّدة ، فهو على استيعابه وتحريره يكاد يكون قصة زاخرة بالاحداث المغربية ، ولكنها مكتوبة بأسلوب يأخذ في اعتباره كل مقاييس الذوق والأخلاق ، كأن المعنية بالامر حاضرة تسمع وترى ، فليس في الحِوار ما يخدش كرامتها ، ولا ما تتنزه عن سماعه وقراءته مُخَدّرة من كريمات أشد البيوت محافظة وأكثرها توقراً .

ان السيد المنتصر الريسوني في باكورة أعماله هذه يبدو باحثاً مستقصياً ، وكاتباً مجيداً متخيراً لموضوعه مما لم يسبق اليه ، حتى لا يكون عملاً مكرراً لعمل غيره ، وهذه إرهاصة وسابقة تبشر بما ينتظر له في ميدان البحث والتأليف من مستقبل واعد بجلائل الاعمال ونفائس الآثار ، ومن أشرقت بدايته أشرقت نهايته .

عبدالله كنون

طنجة

قبل البدء

قال احد شيوخ المعتزلة لبعض الطلاب : « خذ من وقتك ساعة نشاطك وفراغ بالك » .

اجل ، الانسان ينبغي ان يأخذ من وقته ساعة نشاطه وفراغ باله وراحة نفسه .

منذ أعوام وانا عازم على الكتابة في موضوع (**الشعر النسوي في الاندلس**) وخاصة عندما تعددت قراءاتي للادب الاندلسي في مصادره القديمة « **كالنفح** » و « **ازهار الرياض** » ، فتوطدت علاقتي به وارتَدْت رحابه المشرقة المضيئة ، وحقوله الخصبة الغناء ، ولاحظت خلال ذلك ان نهضة شعرية نسوية تستحق الدراسة والبحث ، غير ان الظروف كانت تقف حائلة بيني وبين تنفيذ هذه الامنية المتغلغلة في النفس . وحانت الفرصة ، وأزف موعد الكتابة ، وطفقت أبحث ، وأنقب – جهد المستطاع – وأستنطق المصادر ، فوجدت ان الموضوع بكر الى حد ما ، إذ لم تتناوله الاقـــلام بالدراسة الجادة – على ما أعلم – التي تقوم على البحث العلمي ، والمناقشة البريئة النقية التي تستهدف الكشف عن الحقيقة .

ومضيت في امري قُدُماً ، ولكنني وقفت على حقيقة لامناص من إبرازها هي ان اصحاب الاخبار أهملوا –لسبب او لآخر– كثيراً من النصوص الشعرية التي فاضت بها خواطر نسوية مبدعة، الامر الذي يجعل الباحث في دوامة من الحيرة والقلق ، على الرغم من ان الشعر النسائي الاندلسي. غصن مثمر من دوحة امتدت غصونها امتداداً واسعاً فأغدقت الثمار على ما حولها

فاستمرأت لذتها اعجازُ نخل خاوية ، وسرى في اوصالها ماء الحياة واعترفت الآداب الاوروبية حينذاك بفضل الادب الاندلسي وسخائه وجوده .

وبدأت اول ما بدأت بالحديث عن : المرأة العربية الشاعرة ، وعن نشأة الشعر الاندلسي وتطوره والخصائص التي تميّز بها ، وذلك تفرضه علينا الضرورة الحتمية للبحث العلمي وخاصة وانه مرتبط بالموضوع ارتباط الجواب بالشرط على حد تعبير أصحابنا النحويين ، ثم تحدثت عن : الادب الاندلسي في ميزان الحقيقة لاعطائه حقه المسلوب ، وبعد ذلك أدرْتُ الحديث عن انطلاقة النهضة النسوية .

ثم ماذا ... ماذا بعد هذا ؟

قسمت الشعر النسوي حسب العصور السياسية وتطوراتها ، لان التغييرات العميقة في الحياة الادبية رهينة الى حد ما بهذه التطورات ، فالادب يؤثر فيها ويتأثر بها ، وان كنت أعلم ان التقسيم السياسي ليس معياراً دقيقاً لمعرفة ما يعتور الظاهرة الادبية من تطورات ، وبرهان هذا ، ان الادب عصارة نبوغ وزبدة فكر إنساني تغذيه ، وتحدد ابعاده عوامل سياسية وثقافية وبيئية ، لهذا فانه لا يتأثر بسرعة البرق بقيام دولة واندثار اخرى .

ومهما يكن من شيء فالتقسيم كما يلي :

1) عصر الامارة .

2) عصر الخلافة .

3) عصر ملوك الطوائف .

4) عصر الموحدين .

ولا ريب ان القارىء الكريم لاحظ في تقسيمنا السياسي السالف أننا ضربنا صفحاً عن ذكر عصر المرابطين ، ولا ريب انه تساءل في نفسه عن

سبب ذلك وتشوّف الى معرفته ؟ وانا لا اريد أن اتركه في حيرته ، لهذا ابادره بالجواب قائلاً :

ان المادة الشعرية في هذا العصر لم تتوفر لديّ ، ولا يعني من هذا ان عصر المرابطين كان عصر جمود وركود كما سنشير الى ذلك في موضعه .

وبعد هذا تولت مجلة (**دعوة الحق**)– مشكورة – التي تصدرها **وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية المغربية** نشر هذا البحث في حلقات متتابعة ، فنال رضى كثير من القراء .

وأصدقك القول – ايها القارىء – بأن زيادات جِدّ مهمة ، واستنتاجات جديدة اضفتها اليه بعد الانتهاء من نشره في المجلة المذكورة ، الامر الذي يجعله جديداً في بعض جوانبه الهامة ، واكثر منهجية وتركيزاً من ذي قبل .

وفي اثناء ذلك عنّ لي ان أضيف ملحقاً للنساء اللواتي لم أتعرض لهن بالحديث . لكون اصحاب الاخبار لم يرووا لهن شعراً – او رووا لهن بيتين او ثلاثة – وان كانوا يصفونهن بالشاعرية ، وهذا الملحق لم أخصصه للشواعر فقط ، وإنما جمعت فيه نخبة نسوية تمثل المظهر المعرفي للمرأة الاندلسية المثقفة ، وحاولت فيه التزام الترتيب الزمني لكل مثقفة .

واخيراً اود من صميم وجداني ان يلقى هذا البحث الرضى والقبول ، وان يكون مشعلاً على الطريق يزيح من حوله الضباب ، ويدفع الى المزيد مما عجزت عن الوصول اليه ، والى الاقبال على هذا المنجم الفكري لاستخراج كنوزه ودرره ، ولعلي اكون قد اضطلعت بقسط من الواجب نحو ما تَنَدّت به القريحة العربية الخلاّقة عامة ، والقريحة الاندلسية النسوية خاصة ، وهذا العمل لا أزكيه بنفسي ، وانما الجهد المبذول هو الذي يزكيه ، ويشفع له ان وقع فيه نقص او تقصير . والله الملهم للصواب وعليه قصد السبيل والسلام .

المؤلف : محمد المنتصر الريسوني – المغرب

بين يدي الموضوع

صحارٍ ممتدةٌ امتداد البصر ، فيافٍ واسعةُ الأرجاء ، بحر خضم من الرمال المحرقة ، رياحٌ عاتية تلفح وتقسو كالقدر المحتوم ، نهاراً قيظ ملتهب وشُواظ مُتّقِد يقعد الرائح والغادي ، ورغم ذلك ، فالقاطنون يتحملون العذاب بجدْع الانف في سبيل تصفح وجه الرزق ، وليلاً ، متعةٌ لا تعادلها متعة ، وراحة لا تعادلها راحة ، يحلو السمر مع النسمات الخفاف الرطبة الهنية ، فتحيل الحياة رضية منعشة ، كما لَمْ تكن ترسل قبلاً سوط العذاب المهلك ، فيخف من يخف الى الارتواء ، من ينبوع الانتشاء ، ليعيش ساعات حلم لذيذ ولا أرغد منه .

في غمرة هذا الجو القاسي من جهة ، والرخيّ من جهة اخرى ، نشأت المرأة العربية تعمل وتشارك وتضع اللبنات لتنافس الرجل ، وفي خفّة قفزت الى رياض الشعر فتفتقت لهوتها بالكَلِم ِ الرفراف .

فماذا بعد هذا من حديث الشعر عند المرأة العربية ؟

سؤال ليس صعباً الجواب عنه، ذلك ان العرب امة شاعرة تبرعمت معطياتها الشعرية ، ففاح أريجها في كل صقع من اصقاع البسيطة ، فأثرت وتأثرت ، وطبعي — والامة هذه تملك نبوغاً شعرياً فذاً وادباً عملاقاً حتى نزل الوحي الالهي الكريم يتحدى لسنها وأعز ما تعتز به — ان يكون للنساء في هذا المضمار نصيب له وزنه .

لذلك راحت بجانب الرجل تَسْتَنْدي القريحة لتهمس بالشعر ، فهمست به همسات رائعة ملذة أثبتت قدرتها على الخلق الجميل ، والابداع

الحيّ الخالد ، الذي جعلها تتفوق في بعض الاحيان على الرجل ، والدلائل على ذلك لا تحصى ، فاستمع الى ابي نواس الشاعر العباسي الفحل الشهير شهرة سارت مسير الشمس يقول : (أجهدت نفسي على ان تقع في الشعر (عينُ أُبَاغ) فامتنعت عليّ فقلت (عيني أُبَاغ) فذلك حيث اقول :

فَمَا تَجَدَّتْ بالماءِ حتى رَأَيْتُها مَعَ الشَّمْسِ في عَيْنَيْ أُبَاغ تَغُورُ

في حين تلقي (عين أُباغ) مقاليدها صاغرة طائعة لامرأة من شيبان حين تقول :

وَقَالوا شاعراً مِنْكُم قَتَلْنَا كَذَاكَ الرّمْحُ يَكْلَفُ بالكريمِ
بِعَيْنِ أُبَاغ قَاسَمْنا المَنَايا فَكَانَ قَسِيْمُها خَيْرَ القَسِيمِ (1)

ورغم ذلك فان هناك جمعاً غفيراً من اصحاب الاخبار ، ومن عنوا بجمع الشعر العربي ووضعوا الكتب والتواليف في سبيل صيانة ما جادت به القرائح العربية المعطية ، ولكنهم ولّوْا اهتمامهم للرجال وكل ما يمت اليهم بصلة ، فغفلوا أو تغافلوا عما غرسته انامل المرأة من زهور فواحة وقرنفلات أرِجَة ، واذا أردت الدليل لتقتنع فدونك : « طبقات ابن سَلاّم » و « المفضّليات » للضَبّي و « المؤتلف والمختلف » للآمدي و « الحماسة » لابي تمام ، وغير هذه الكتب التي لم تتحدث عن شواعر العرب حديثاً يشفي الغليل من النفس الصادية ، « فابن سَلاّم » يحدثنا عن اصحاب المراثي ثم يعرج بالحديث عن « الخنساء » في كلمات مقتضبات ، و « الضبي » يورد مرثية واحدة لامرأة من ضبيعة مجهولة الاسم والعصر لا تتجاوز خمسة ابيات ، والآمدي لا يذكر سوى بضع شاعرات وهكذا دواليك .

وهنا تنتصب امام اعيننا الف علامة استفهام ، لماذا هذا الاهمال ؟ ما هي اسبابه ودواعيه ؟. يمكن لنا ان نعزو ذلك الى ما يلي :

1) ان الرواة كما هو مشهور في عهد الجمع والتحصيل ، كانوا يميلون

الى الغريب الحوشي ، وشعر النساء يكاد يكون خلواً من هذه الخصيصة ، لذلك تحاشوا رواية شعر المرأة .

2) ان الشاعر كان لسان قومه ، يمدح القبيلة ويعدد محامدها ومناقبها ، واذا حزب الامر دافع عنها وقاوم وشهّر بالاعداء . والمرأة لم تكن تحتل هذه المكانة في قبيلتها ، ومن اجل ذلك شذّ في شعر النساء ذكر الحروب والايام فعزف الرواة عن الشعر الذي لا يحمل في طياته ما يروقهم .

3) نعرف مسبقاً ان الشعر الجاهلي قد ضاع منه ما ضاع ومن المحتمل ان يكون شعر النساء قد ضاع منه الكثير ، وبقي منه النزر اليسير .

4) وقد يرجع هذا التغافل الى التعصب المقيت من جانب الرجال ، وآية ذلك أنه ضرب المثل ببعض الشعراء في اتقانهم فنوناً خاصة ، ولم يضرب بشاعرات باستثناء الخنساء .

ونشم رائحة هذا التعصب في قول بشار بن برد عن شعر المرأة (لم تقل امرأة شعراً الا تبيّن الضعف فيه) فقيل له : (او كذلك الخنساء ؟) قال (تلك فوق الرجال)(1) .

فبشّار لم ينصف من شواعر العرب غير الخنساء وذلك تحامل ظاهر لا يحتمل التردد ومبالغة في إطلاق الحكم مع تقديرنا لشخصية بشار .

تلك اسباب ودواع جنَت على الشعر النسائي ، قد تدخل في حكم المنطق ولكنها مع ذلك قابلة للنقاش والاخذ والرد .

ويسوغ لنا بعد هذا ان نضيف سبباً آخر الى الاسباب السالفة هو أنّ من الجائز ان يكون اصحاب الاخبار قد وضعوا كتباً خاصة في اشعار النساء ، بيد انها ضاعت مع ما ضاع من التراث العربي وذلك لظروف تاريخية معروفة.

وحسبنا اننا نعلم ان ابا نواس — وناهيك به — ما قال الشعر الا بعد ان

روى لستين امرأة وفي ذلك يقول (ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال ؟)(1) . وهذا اعتراف ولا ريب من شاعر كأبي نواس بمكانة المرأة الشعرية ، وحجة قاطعة على أن العرب كان فيهم شاعرات كثيرات .

ولا يعزب عن بالنا ان بعض مصادرنا الادبية قد خصصت لشواعر متعددات حيزاً في ثناياها «كالاغاني» مثلاً ، ومنها التي تتحدث عن شاعرات فقط ككتاب (اشعار النساء) «للمرزباني» وكتاب (نزهة الجلساء في اشعار النساء) للسيوطي .

والمرأة العربية تسنى لها ان تقرض الشعر في كل من الفنون المعروفة من رثاء، وهجاء، وفخر، ومدح، وغزل، وحنين الى الوطن. واذكر على سبيل المثال لا الحصر الخنساء صاحبة المراثي الملتهبة عاطفة واحساساً ، وفاطمة بنت الأحجم الخُزاعية ، وآمنة بنت عتيبة وام بسطام ، وأمامة بنت ذي الاصبع العدواني الشاعر الفارس ، وليلى الاخيلية ، ومارية بنت الديان ، وام الفضل الهلالية التي هاجرت الى المدينة وروت الحديث عن الرسول عليه السلام وام قيس الضّبّيّة وغيرهن كثيرات .

ذلك هو حديثنا عن المرأة العربية الشاعرة ، ونحن اذا ساعفنا الرغبة في التفصيل جاء الموضوع مولّفاً قائم الذات ، لأنه واسع الجوانب ، متعدد الزوايا ، وهو في الآن عينه ، شيق خصب لمن اراد ان يكتب عنه ، لذلك نجتزىء بهذا القدر ، فالشيء بعضه يدل على كله كما يقولون .

---

1 - الشعر الاندلسي

ا - نشأته

ب- خصائصه

ج - الادب الاندلسي في ميزان الحقيقة

د - انطلاقة النهضة النسوية

نشأة الشعر الاندلسي

لنا وقفة قصيرة مع الشعر الاندلسي في ولادته الاولى الى ان يستوي عوداً أخضر يتدفق حياة وروحاً فيورق ويجود ، وتتباين وريقاته مُرْهِصَةً بميلاد شذى جديد ، لنا هذه الوقفة لنعرف الجذور التي أنبتت غصونه رطبة زاهيـــة .

ليس خافياً على دارس تاريخ الاندلس ان فترة الولاة كانت فترة حروب وعراك ، الشيء الذي جعل القلق يدب في اوصال المجتمع ويفكك قوته ويصدّع تماسكه ، فالمنازعة قائمة بين البربر والعرب ثم بين العـــرب ذاتهم ، اذاً فالمجتمع الاندلسي في تلك الفترة كان يحيا حياة قلقة ، ويعيش فاقداً مقومات الاستقرار النفسي والحسي .

وفي هذا الجو تكونت الخيوط الأولى للشعر الاندلسي ، ذلك ان العرب الوافدين على الاندلس كان من بينهم من يقرض الشعر ، وان المصادر لتمدّنا ببغض اسماء هؤلاء ونذكر منهم : ابا الاجرب جعونة بن الصمة المشهور بهجائه للصميل بن حاتم رئيس القيسية والذي اشتهر بمدحه حينما عفا عنه ، وهو في مرتبة جرير والفرزدق كما قيل ، ولو انصفه النقاد لاستشهدوا بشعره ، والباحثون لم يتوصلوا الى ما خطه قلم هذا الشاعر من نتاج الا القليل النزر ومن شعره قوله :

وَلَقَد أراني مِنْ هوايَ بِمَنْزِل عالٍ ورأسيَ ذو غدائِر أفْرعُ
والعَيْشُ أغْيدُ ساقطٌ أفْنَانُه والماءُ أطيَبُه لنا والمَرْتَعُ

وابا الخطار حسام بن ضرار وهو من علية القحطانين بالاندلس ، كان شاعراً

شجاعاً فارساً لقب (عنترة الاندلس) لم يصلنا من شعره كذلك إلا القليل ومن قوله حينما ثار لانسان عزيز من قومه :

فليتَ ابنَ حواس يخبّرُ انني سَعَيتُ به سَعْيَ امرىء غيرَ عاقل
قَتَلْتُ به تِسعين تَحْسَب أنهم جُذوعَ نَخيلٍ صُرّعَت في المَسايل
ولو كانَتِ الموتى تُباعُ اشتَريتُه بِكَفّي وما استثنيتُ منها أنامِلي

وبكراً الكناني الذي سأل عنه أبو نواس عباس بن ناصح عندما رحل الى بغداد .

ومما ينبغي ان نلفت اليه الانظار ان هذه الفترة كانت تتوفر على شعراء آخرين ضاع شعرهم وانمحى وجودهم مع ماانمحى من التراث الاندلسي ولا سيما في تلك الحقبة المضطربة التي انعدمت فيها المقاييس السياسية .

وخصائص الشعر في هذه الفترة الزمنية هي في الواقع لم تكن لها شخصيتها المستقلة بل كانت امتداداً كلياً لخصائص الشعر المشرقي ، اذ ان قائليه مشارقة قدموا الاندلس ، فهو يجري بطبيعة الحال في التيار المحافظ الذي كان متعالماً شائعاً في المشرق .

وبانقضاء فترة الولاة نتصفح وجه الحياة فنلفى ان اهم مظهر من مظاهر المجتمع الاندلسي بروز شخصية المرأة في مجال الفن ، ذلك ان عبد الرحمن الداخل استقدم بعض الفنانات المشرقيات ، وانشأ لهن داراً عرفت بدار (المدنيات) لان اغلبهن من المدينة التي عرفت في التاريخ بانتشار الحركة الموسيقية والغنائية .

والمرأة بعد هذا كانت تختلف الى المسجد الجامع بقرطبة وغير المسجد الجامع من مراكز الاشعاع الفكري لتنهل من مناهل المعرفة ، ولذلك نبغت سيدات من بينهن المحدّثات والكاتبات والفقيهات والطبيبات ، واستطاعت مسايرة الركب الحضاري ، ومواكبة التيار التقدمي .

وهكذا بات المجتمع الاندلسي بعد انتظام القوالب السياسية يعيش عيشة استقرارية آمنة تحت ظل حكومة قوية الشكيمة تشجع وتعمل آناء الليل واطراف النهار لصالح البلاد ، ولاعادة مجد الامويين الذي افل نجمه في المشرق .

وليس من شك في أن شعلة الثقافة الاندلسية ذكت عند قدوم كثير من الامويين واشياعهم الذين كانوا على قدر كبير من الثقافة ، وليس من شك ايضاً في ان وفودهم على الاندلس وطّأ للثقافة سبيل الانتشار والذيوع ، واضف إلى هذا كله رجوع اول بعثة اندلسية درست بالمشرق من بينها يحي بن يحي الليثي راوي مُوطّأ مالك رضي الله عنه (ت سنة 234هـ) وعبد الملك بن حبيب السلّمي عالم الاندلس كما يسميه المقّري (ت سنة 238 هـ) ، وغيرهما(1) من الذين حملوا معهم النفحات المشرقية ، فتعرف الاندلسيون على كتب شرقية في اللغة ككتب « الاصمعي » و « الكسائي » امام المدرسة النحوية الكوفية و « الفرّاء » . وفي العروض والنقد ككتب « الخليل » و « ابن قتيبة » .

ويجدر ان نتذكر في هذا الصدد تشجيع الامراء والخلفاء للنهضة العلمية والادبية وما نقله ابو علي القالي من كتب في الادب للجاهليين والامويين ، كشعر « النابغة الذبياني » و « الاعشى » وشعر « ذي الرمّة » و « الحُطَيْئة » و « جميل » و « الأخْطل » ومجموعات شعرية « كالمفضليات » ، كل ذلك كان له اثره العظيم في عقول المثقفين .

وحينذاك يظهر جيل من الادباء كما تظهر الاديبات ، وفي نفس الوقت تتفتح البراعم الاولى للادب الاندلسي الذي سيترعرع على مرور الايام وتنحسر عنه في بعض الاحيان موجات التقليد فيتميز بخصائصه التي تضفي عليه مسحة من الاستقلال والتحرر ، فلا يعود وقفاً على الوافدين من المشرق.

فالشعر الاندلسي سار في فترة الولاة في القالب المحافظ المتمثل في

الاحتفال بالموضوعات التقليدية من : مدح ، وهجاء ، وفخر ، كما سار على منهج الاقدمين في بناء الوشاح الخارجي للقصيدة العربية .

وبعد ذلك في عهد تأسيس الامارة نجد الشعر الاندلسي يتسم بسمات خاصة كالتجديد الموضوعي الذي يتجلى في طرق موضوعات جديدة أو معالجة مضامين لم تكن تعالج من قبل ، ثم التجويد الفني والتركيز العاطفي(1) .

وفي عهد الخلافة نلمح الشعر الاندلسي يتحرك في اطار آخر هو الاتجاه المحافظ الجديد Neo Classico ، المتبدي في السير على منهج القصيدة ولغتها وجرسها والتجديد في معاني الشعر واسلوب صوره .

وبالاضافة الى ذلك فان الاتجاهات التي عرفت في ما سبق هذا العصر كالاتجاه المحافظ والمُحْدث قد تطورت تطوراً ملحوظاً ، وتلك ملامح مقتضبة عن نشأة الشعر الاندلسي ، والتفصيل في ذلك يرجع الى مظانه من كتب تاريخ الادب الاندلسي .

خصائص الشعر الاندلسي

لا غرو ان للشعر الاندلسي خصائصه ، هذه الخصائص تتجلى بوضوح تام في المعاني والاخيلة والالفاظ والاساليب .

اما في المعاني والاخيلة فان معاني الاندلسيين واضحة سهلة سلسة ، ليست عميقة الغور تحتاج الى تدبر وإعْمَال الفكر ، خلوة من الصور الفلسفية العويصة ، وهي ، ترفدها طرافة الخيال وطراءة الصور التي استمدت من متحف الطبيعة الفاتنة الغناء .

اما الالفاظ والاساليب ، فإن الفاظهم سهلة تعبر عن لين طبعهم ودماثة خلقهم لحد انها تؤدي الى الاسفاف احياناً ، واساليبهم تكثر فيها التشبيهات المتنوعة والصور الفريدة .

وفي ما يتعلق بالأوزان ، فالشاعر الاندلسي قد حاك على نول الشاعر المشرقي غير انه كان يميل الى الاوزان الخفيفة التي تتلاءم وحياتهم الناعمة المترفة بالغناء والموسيقى فأدى ذلك الى ابتكار فن الموشح(1) ثم الزجل .

هذه هي الملامح الفنية عموماً التي تميز الشعر الاندلسي ، وتعطيه صورته البينة الواضحة وان كانت روحه تشي بارتباطه بالشعر المشرقي ، فذاك امر مسلّم به .

والموضوعات نجدها عند الشاعر الاندلسي تقليدية في بعضها كالمدح والغزل والخمريات، قصّر في بعضها الآخر كالحكمة والزهد ، وتفوّق في الاخرى كالوصف ، بيد أن الاغراض الجديدة التي امتاز بها النتاج الاندلسي هي ما يلي :

رثاء الممالك ، وذلك حين اخذ ملك المسلمين يتقلص كقول صالح بن شريف الرّنْدي في نونيته المشهورة يرثي الاندلس :

لِكُلّ شيءٍ اذا ما تَمّ نُقْصانُ   فلا يُغَرّ بِطِيبِ العَيْشِ إنْسانُ

وقصيدة ابن عبدون في رثاء بني الأفْطَس ملوك بَطَلْيَوْس التي يقول فيها :

الدّهْر يفجعُ بعدَ العينِ بالأثر   فما البكاءُ على الاشباحِ والصّوَر

ثم الاستنجاد بملوك المسلمين ، والاستغاثة بالرسول عليه الصلاة والسلام. ومن اشهر القصائد في هذا المضمار قصيدة ابي عبد الله ابن الأبّار التي استنجد فيها بأبي زكرياء ابن أبي حفص صاحب افريقية سنة (635 هـ) والتي يقول فيهـــا :

أدرِكْ بِخَيْلك خَيل الله أنْدَلسا   ان السبيل الى مَنْجاتِها دَرَسا

كما انهم تفوقوا في الشعر التعليمي فوضعوا منظومات علمية في : « التاريخ » و « النحو » وغيره ؛ ومن ذلك أُرجوزة ابن عبد ربه في التاريخ وأُرجوزته في علم العروض ودوائره . يبتدئها بقوله :

بالله نبدَا وبه التمامُ   وباسمه يُفتتــح الكلامُ

وفي الدوائر يقول :

فَمَا لها من الخُطُوطِ البَائِنة   دَلائِلٌ على الحُرُوفِ السّاكنة
والحَلَقَــاتُ المُتَجَوّفات   علامة للمُتَحرّكــات(1)

وألفية ابن مالك وهي اشهر من نار على علم ، و « اللامية » و « الرائية » للشاطبي في القراءات ورسم المصحف ، وهكذا توالت المنظومات العلمية في شتى الفنون والعلوم في التاريخ والنحو والبلاغة والفقه والمنطق والرياضيات والتوحيد(2) .

ولم يقتصر تفننهم على هذا الميدان بل خرجوا بالشعر التعليمي من جفافه وتقرير ياته الى لون من اللطافة والطرافة تلطف من جَوّه القاسي العنيف، وآية ذلك انهم مزجوه بالغزل فعرفوا كيف يقومون بعملية المزج ؛ من ذلك قصيدة ابن فَرْح (1) في مصطلح الحديث يقول في مستهلها :

غرامي « صَحِيحٌ » والرّجا فيك « مُعْضِلُ »
وحُزْني ودمعي « مُطْلَقٌ » و« مُسَلْسَل »(2)

الى ان يقول في آخر القصيدة :

فَخُذ أولا من آخر ثم أولا — من النّصف فهو فيه مُكَمّل(3)
أبرّ إذا أقْسمتُ إني بِحُبّه — أهيمُ وقَلْبي بالصّبابة يَشْعُل

وكيف ما كانت الحال فتلك حكاية الشعر الاندلسي منذ نشأته الى ان استقام عوده بعد ان عبر البيد والفلوات محملاً باللفحات الى بلاد الموسيقى والاريج والعبق ، فوجد نفوساً رقيقة خصبة وقرائح موهوبة معطاء ، ومناخاً ناعماً ، فنما وأينع ، ومدّ الظلال الوارفة التي اكسبته شخصية ، رغم انه ظل في بعض الاغراض الشعرية متقمصاً شخصية الادب المشرقي ، وذلك طبعي ، نظراً للظروف الحضارية التي قام عليها كلا الشعرين ، الشعر المشرقي والشعر الاندلسي ، وكما يقولون : نظائر الاسباب تولد نظائر النتائج(4) .

الادب الاندلسي في ميزان الحقيقة

شط بعض البحاث في زعمهم عندما رموا الادب الاندلسي بالتقليد المحض ، وانه ليس ذا قيمة ووزن ، وانه عالة على الادب المشرقي ونسخة منه ، وقف حياته على المحاكاة ، وسار على درب غيره فلا ابتكار ولا تجديد يعطيه صورته الاستقلالية ومظهره التحرري ، ولا يحفل بنفحات فنية مبدعة .

هذا الزعم ، قال به غير واحد من البُحّاث(1) ، ولست ادري ما السبب في ذلك يا ترى ؟ هل هو التعصب لكل نتاج شرقي ، مع العلم ان هذا التعصب لا محل له من الاعراب — كما في عبارة النحاة — لان الانتاج العلمي او الادبي الجيد هو فخر لنا جميعاً نحن العرب قاطبة سواء نبت في الحجاز او في العراق او في مصر او لبنان او المغرب او تونس او الجزائر ما دامت وشائج متعددة ومتينة جداً تجعل العرب امة واحدة متلاحمة تلاحماً قوياً ، ومتماسكة تماسكاً شديداً ، وأمّا إذا كان السبب غير هذا الامر اذا غيب خفي عنا لا يعلمه غير صاحبه .

وسواء كان ذلك الحافز الى الاجحاف التعصب او غيره فان الادب الاندلسي في مرحلته التكوينية كان امتداداً صرفاً لصدى الادب المشرقي ما في ذلك شك ، ولا يستطيع احد منا ان يرفع سبابته منكراً تأثير المتنبي ، وابي تمام ، وابي نواس ، والبحتري ، وابن الرومي ، واضرابهم من سَدَنَة الشعر العربي في شعر شعراء الاندلس ، كما اننا لا يمكن ان نتجاهل استاذية اولئك الافذاذ لهم ، ولكن بعد ان ترفّت الحياة في الاندلس ، ورقّت انفاسها بين جنباتها ، واخذت شكلها الحضاري الرائع الفذ ، بدأنا نرى

الشعر الاندلسي يقف على قدميه في شموخ تبعاً للمد الحضاري شأنه في ذلك شأن سلفه المشرقي .

ويمكن القول بأن الاندلسيين في منهجهم المحافظ لم يدفعهم الى ذلك حب الاحتذاء ، بل إن هناك مبرراً يبرر هذه القضية هو ان ظروفهم في تلك الفترات استدعت الى حد بعيد موضوعات تقليدية كالفخر والحماسة والمدح ، ذلك ان البيئة الاندلسية اتسمت بطابع عربي ، فلم يكن بد لهم من ان يخضعوا لمقتضيات واقعهم وحتمية بيئتهم ، وعلاوة على هذا ، فان العرب اينما حلوا انتقلت معهم عوالم مثالية ، عوالم آبائهم الذين عاشوا في الصحراء بكل ما فيها من نوق ، وكثبان ، وهضاب ، واطلال ، فلم يتخلصوا من موروثاتهم بسهولة ويسر ، وقد شابه هذا ما قام به الاوروبيون في العصر الكلاسيكي عندما استوحوا عالمهم المثالي اليوناني والروماني فتقيلوا منهج قدمائهم ، رغم تنوع الحياة ، وشابه هذا ايضاً ما كان من ادباء امريكا اللاتينية حين اصبحوا يستلهمون ادبهم من متحف الادب الاسباني التقليدي ، وذلك باعتباره ادب عالمهم الاسطوري، ولو انتُزع ما اخذه ادباء امريكا من الادب الاسباني لما بقي شيء يذكر من الادب الاسباني الامريكي .

والتقليد قد يقصد به بعض البحاث ان الاندلسيين قد نهجوا في شعرهم طريقة اخوانهم المشارقة في العمود الشعري الذي هو الوزن والروي ؛ ونحن لو قلبنا بين ايدينا دواوين الشعراء منذ ان انفتحت بالضاد لهاة شاعر عربي ، لالفينا نظام القصيد واحداً وحتى الآن ، رغم التطورات الهائلة التي مر بها ادبنا الحديث لا يزال يقتات على الجرس العربي القديم ، وان كان شعراؤنا المحدثون فتتوا صورة القصيدة العربية ونوّعوا تفاعيلها ووزعوها في النص الشعري الواحد حسب رغبة كل شاعر ، وظروف تجربته الشعرية .

والحقيقة ان الشعر ليس معياره الوزن والرويّ ، فان ذلك ملك للجميع من غير استثناء ، وان القيمة الحقيقية تُعطى اول ما تعطى للمضامين وما حفلت به من الشعور وفوران الاحساس ، ومدى صدق الشاعر في العمل

الادبي ، وحسب الاندلسيين أنهم ابتكروا نظاماً شعرياً جديداً هو الموشحات، . ومخترعها على الأرجح: مقدم بن معافى القبري .

اما في ما يخص المعاني، فان الاندلسيين أتوا بما يعتبر ابتكاراً وخلقاً، وفي هذا الصدد يتعرض الاستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي – وهو من هو في اطلاعه على كلا الادبين ، وتذوقه لهما – للادب الاندلسي فيقول : « يمتاز بتجسيم الخيال النحيف ، واحاطته بالمعاني المبتكرة التي توحي بها الحضارة ، والتصرف في ارقّ فنون القول ، واختيار الالفاظ التي تكون مادة لتصوير الطبيعة وإبداعها في جمل وعبارات تخرج بطبيعتها كأنها التوقيع الموسيقي ، بل هي تحمل على التلحين بما فيها من الرقة والرنين ولا يشاركهم في ذلك الا من ينزع هذا المنزع ويتكلف ذلك الاسلوب ؛ لان جزالة اللفظ في شعرهم انما هي روعة موقعه ، وحلاوة ارتباطه بسائر اجزاء الجملة ، وتلك فلسفة الجزالة ، ومن اجل ذلك احكموا التشبيه وبرعوا في الوصف ، لانهما عنصران لازمان في تركيب هذه الفلسفة الروحية التي هي الشعر الطبيعي » (1) .

ويُلحّ الانصاف، ونحن في معرض الدفاع عن الادب الاندلسي ،ان نقف هنيهة من الزمن لنناقش الدكتور احسان عباس مناقشة قصيرة في ما ذهب اليه في كتابه (تاريخ الادب الاندلسي – عصر سيادة قرطبة) من ان « ربقة التقليد خانقة تحول القابليات عن طريق الابتكار ، ولو ان الاندلسيين نظروا من خلال انفسهم مثلاً الى شعر الطبيعة لاستغنوا عن مناظرات ابن الرومي وتشبيهات ابن المعتز الجامدة ، ولاستوحوا بيئتهم لا اشعار ابي نواس في وصف الخمر »(2) .

الدكتور احسان عباس – مع تقديري له – جمح به القلم عن جادة الصواب جموحاً بعيداً، ذلك ان الاندلسيين لم يأتوا امراً إدّاً إذا استعانوا بتشبيهات ابن المعتز وغيره وأدّى ذلك الى خلق جميل ، وليس غريباً اذا تداول الشعراء المعاني الواحدة وابرز كلٌّ قدرته الفنية على توليد معان اخرى

جديدة ، وكذلك كان شأن الاندلسيين في بعض اعمالهم الشعرية وفي البعض الآخر قد تخونهم مقدرتهم الادبية ، وفي البعض الآخر ايضاً يتفوقون على اقرانهم الشرقيين . ولولا الخوف من الاطالة لأوردت نصوصاً تثبت ذلك .

ومهما يكن من امر فان الاندلسيين قد استوحوا بيئتهم وعبروا عن حضارتهم خير تعبير ، ومثّلوا العصر اجمل تمثيل . ونظروا من خــلال انفسهم ، وابرزوا شعورهم نحو الحياة بكل ما يمور في رحابها . ولا ادل على ذلك من شعر الطبيعة ، تلك الطبيعة التي سلبت لب الاندلسي . فهام في محرابها ، يتملى روعتها في دوار لذيذ ، فرسم اللوحة اثر اللوحة موزعاً الالوان في ابداع مدهش ، ومن اجل ذلك اتي بمعجز الخيال ورائع التصوير والمعنى ، فابن خفاجة ، وابن زيدون ، وابن عمّار شحارير الاندلس شاهد حي ناطق على ما نقول .

انطلاقة النهضة النسوية في الاندلس

لامناص من الاعتراف بأن انطلاقة النهضة النسوية في شبه الجزيرة الاندلسية بدأت منذ استتب الامر للامويين ، وعملوا على نشر اروقة الامن في البلاد وتسيير دفة الحكم تسييراً محكماً لاجل مصلحة الجميع ، وازدهرت الحياة الادبية ، وتفتحت ازهارها ، وتضوّع عبيرها بما حفلت به من رائع القول ، وجياد المعاني ، وعبقري الخيال ، فمثلت الثقافة النسوية منذ عهد الامارة : حسّانة التميمية ، وعهد الخلافة : مُزْنَة كاتبة الخليفة الناصر ، ولُبْنى كاتبة الحَكَم ، وشواعر متعددات عاش بعضهن في العصر السابق الذكر ، وبعضهن الآخر عاش في العصور الاخرى ، وسنفرد بالحديث كل واحدة منهن .

وهكذا اصبحت المرأة الاندلسية تساهم في بناء صرح الادب من شعر ومناظرات ، ومساجلات ومناقشات ، ويعود سبب ظهور هذه النهضة النسوية الى البيئة الاندلسية التي زخرت رحابها بمباهج الحضارة والرقي ، فكان من البدهي ان تغري مظاهر التقدم المختلفة النفوس فتنطلق من عقالها تعبّ من معينها الثرّ ، لذلك تحركت النفس الشاعرة لتعبر عن تجاربها المتعددة ، فتنطلق الى قول الشعر تُضَفّر الكلمات ياسميناً وقرنفلاً .

ويروى أنه وجد في الاندلس ستون ألفاً من الشاعرات(1) ، وكان اغلبهن في غرناطة وكن يُعْرَفن بالعربيات بدلاً من الغرناطيات ، لانهن نهجن نهج العرب في القريض . وأعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه ، ولكنه لا يخلو من حقيقة ، اذ لولا وجود حركة شعرية نسوية ما اطلق هذا الحُكْم .

إذاً كيف لم نعثر الا على عدد قليل من الشواعر؟ ونصوص شعرية ضئيلة؟

بالقياس الى ما قيل عن الحركة الادبية النسائية في الاندلس؟ ارجع أن الاسباب هي ما قلته في ما سلف عن المرأة الشاعرة، ومما يؤكد هذا ويوضحه – وخصوصاً بالنسبة لادب النساء في الاندلس – ان التاريخ يحدثنا ان المسيحيين بعد ان احتلوا غرناطة أحرقوا بساحتها عدداً كبيراً من الكتب بأمر من الكاردينال خمينس، كما أمَر ان تُبَادَ عُصَارة الفكر العربي في جميع البلاد الاندلسية(1). وقد يكون ضمن هذا التراث العظيم الذي امتدت اليه يد الغدر، وأتلفته العقلية المتخلفة، مصادر مهمة جداً تتحدث لنا عن شواعر أُخر، ونتاجهن الشعري، مما يلقي الاضواء الكاشفة من غير غبش على النهضة الادبية النسوية في كل العصور، ولكن اقول ما قاله الشاعر ابو عبد الله محمد العقيلي في هذه المأساة بالذات:

حُكْمٌ من الله حَتْمٌ لا مَرَدّ له وهل مَرَدٌّ لحُكْم منه مُنْحَتِم
وَهْيَ الليالي وَقَاكَ اللهُ صَوْلَتَها تَصُولُ حتى على الآسادِ في الأجَم

وفي ميدان العلوم اشتهرت كثيرات منهن، حتى ان نساء الخلفاء كن في غير حاجة الى الاطباء، ما دامت هناك طبيبات، وفي غير حاجة – في بعض الاحيان – الى معلمين ما دامت هناك معلمات، ومن اشهر الطبيبات اخت الحفيد ابن زُهْر، وابنتها اللتان كانت لهما الخبرة الجيدة في مداواة النساء، ومن الاستاذات مريم بنت أبي يعقوب الانصاري التي تخرجت على يدها طائفة من النساء، والشاعرة العروضية مولاة ابي المطرف بن غَلْبُون تلمذ لها ابو داود سليمان بن نجاح، ودرس عليها «الكامل» للمبرد «والنوادر» للقالي.

ومن المناسب ان نذكر ان الحركة النسوية هذه قامت في اكثرها على اكتاف الحرائر، اما الاماء فقد برعن في الموسيقى والغناء وقطعن فيهما أشواطاً بعيدة ومن اشهرهن: العَجْفاء، وَقَمَر.

وبعد هذه النظرة عن انطلاقة النهضة النسوية في الاندلس وعن اسبابها سنديرالحديث عن عصر الامارة، وهو اول خيط نمسكه في موضوعنا المراد دراسته.

عصر الامارة

(138 - 300هـ)

عصر الامارة والاستقرار السياسي على الخصوص يبدأ بعهد الامير عبد الرحمن (138 — 172 هـ) وابنه هشام (172 — 180 هـ) وحفيده الحَكَم (180 — 206 هـ) . هذه الفترة هي عبارة عن تشييد وبناء وتعبيد الطرق لارساء الحكم الاموي ، واصلاح ما عفن من الاوضاع . فقد وجد عبد الرحمن عند دخوله الاندلس الاجواء تَعُجّ بالفتن والفوضى : بربرٌ ساخطون على العرب لاستبدادهم بالامر ، قبائل عربية تتطاحن ، مسيحيون بمناطق شمالية من شبه الجزيرة يتربصون الدوائر ، فرنج في ما وراء البرانس يتحينون الفرص للهجوم ، ومن اجل ذلك كله عمل عبد الرحمن على نشر الوية السلم والامن في البلاد ، وعني بالمشاكل المعقدة التي نشأت عن النعرات المقيتة والعصبيات الدفينة واختلاف الاديان ، واستطاع ان يخضد شوكة هذا الاضطراب في الداخل والخارج .

وقد تَرَسّم هشام خطى ابيه ، كما ترسم الحَكَم الربضي سياسة الاب والجد فقضى على ثورة الرّبَض التي اوقد نارها سكان الضاحية القرطبية التي تسمى بذلك الاسم ، وثابر مثابرة القوي الحازم على تثبيت النظام الاموي.

والمجتمع الاندلسي في هذا العهد اصبح يعيش في وحدة وحضارة نسبية من انشاء وتعمير ، اذ انشأ عبد الرحمن مسجد قرطبة الجامع والرصافة التي كانت مقر الامارة ، كما انشىء في عهد بنيه كثير من المساجد في اماكن اندلسية مختلفة ، وغير ذلك من المظاهر الحضارية الخالدة .

وان اهم ما يسترعي النظر في مظاهر المجتمع الاندلسي بروز الشخصية النسوية في الميدان الفني ، وذلك عندما استقدم عبد الرحمن الداخل فنانات شرقيات وخصص لهن داراً بالقصر عرفت بدار المَدَنيّات ، لان اكثرهن من المدينة التي اشتهرت اوانئذ بالفن الموسيقي والغنائي(1) .

اما مميزات الشعر في هذا العصر فقد تحدثنا عنها في ما سلف عند كلامنا عن نشأة الشعر الاندلسي ، فالشعر الاندلسي سار فترتئذ في التيار المحافظ المتمثل في الاحتفال بالموضوعات التقليدية من: مدح وهجاء وفخر كما سار على منهج الاقدمين في بناء الهيكل القصيدي .

وبعد ذلك نجد الشعر الاندلسي يتسم بسمات خاصة كالتجديد الموضوعي الذي يتجلى في طَرْق موضوعات جديدة او معالجة مضامين لم تكن تعالج من قبل ثم التجويد الفني والتركيز العاطفي ، وذلك في عهد تأسيس الامارة(1).

وقبل انهاء الحديث عن هذا العصر يجدر ان نرد على ما ذهب اليه «غرسيا غومس» من ان شعراء عصر الامارة ليسوا الا نظّامين لا يمتازون ببراعة(2) . وهذا الحكم ألقاه غرسيا غومس دون تدبر وروية كما يبدو ذلك ، لانه لا ينسحب على كل شعراء هذا العهد ، ولانه جرده من جميع مميزاته الشعرية ، والجودة والرداءة في النص الادبي ظاهرة نلمحها في كل عصر ادبي في المشرق والمغرب والآداب الانسانية ، ذلك ان الجيد في اي فترة يصحبه الرديء تبعاً للمستوى الثقافي لكل شاعر او اديب ، وتلك بديهية ادبية مسلّم بها في الادب الانساني .

ويكفي ان نذكر ان شعراء الامارة يتمثلون في ابي المَخْشِيّ عاصم ابن زيد العبادي(3) والامير عبد الرحمن الداخل والامير الحكم وعباس ابن ناصح(4) وحسّانة التميمية ، واولئك تندّت قرائحهم بشعر جميل يتوفر على جميع العناصر الفنية التي نجدها عند فحول الشعراء .

واعيد الى الاذهان ان ابا المَخْشيّ طرق موضوعاً طريفاً هو حديثه عن العمى بعد ان سُمِلَتْ عيناه فصور لنا فيه مأساته تصويراً جيداً ينم عن قدرة شعرية فذة يقولَ في اولها :

خَضَعت أم بَنَاتي للعِـــدَا	إذْ قَضَى اللهُ بأمْر فَمَضَى
ورأتْ أعمى ضريراً إنما	مَشْيُهُ في الارض لمسٌ بالعصا

وقد ندر من الشعراء من طرق هذا الموضوع بطريقته المؤثرة التي تنخلع لها الافئدة وتجعلنا نعيش تجربة الشاعر القاسية بانفعال .

1 – حسانة التميمية(1)

ابوها ابو المَخْشيّ الشاعر ، تعلمت ودرست ، فنشأت نشأة الطهر والعفاف ، لم يؤثر عنها ما يخدش كرامتها وشرفها ، الشيء الذي جعلها تستنكف عن الرذائل والتوافه وتدافع عن حقها اذا ما لحقها ظلم الظالمين ، توفي ابوها فتركها في رعاية الاقدار لا تجد من تلتجيء إليه في معترك الحياة الا الامير الحَكَم بن هشام الذي بعثت اليه قطعة شعرية تستعطفه وتنبئه ان والدها قد استأثرت به رحمة الله بعد ان كانت ترتع في نعماه، وتميس زهواً تحت ظلال رعايته وحمايته ، واليوم لا ناصر لها في الحياة الا هو :

إنّي اليكَ ابا العاصي مُوَجّعة	ابا المَخْشِيْ سقته الواكفُ الدّيَمُ
قَدْ كُنْت أرْتع في نُعْماه عاكفةً	فاليوم آوي الى نُعماك يا حَكَمُ
انتَ الامامُ الذي انقادَ الأنامُ لَهُ	ومَلّكَتْه مقاليدَ النّهَى الأمَمُ
لا شيءَ أخْشى اذا ما كُنْتَ لي كَنَفاً	آوي اليه ولا يَعْرِدُنيَ العَدَمُ
لا زلتَ بالعزةِ القَعْساءِ مُرْتَدِياً	حتى تَذِلّ اليكَ العُربُ والعَجَمُ

وما كان من الامير بعد ان استحسن شعرها ورقّ لها الا ان امر لها باجراء راتب وكتب الى عامله بإلْبِيْرَة فأكرمها وأحسن اليها .

وتمر ايام وينتقل الامير الى جوار ربه فينكث عامل إلبِيْرَة ، جابر ابن لبيد ، العهد ولم يحرر املاكها ولم ينفذ ما خطته انامل الحكم ، وعلى اثر ذلك اتجهت الشاعرة الى القصر حيث الامير الجديد عبد الرحمن الاوسط وانشدته من شعرها ما يهز القلوب ويلين الصخور :

إلى ذي النّدَى والمجد سارتْ رَكائبي   على شحَطٍ تصْلَى بنار الهَوَاجِرِ
ليَجْبُر صَدْعِي إنه خيْرُ جابِرٍ   ويَمْنَعَني من ذي الظلامة جابرِ
فإني وأيتامي بقَبْضَة كَفِّهِ   كذي رَيْش اضحى في مخَالب كاسِرِ
جَديرٌ لمثلي ان يُقال مَرُوعَةً   لموْت ابي العاصِي الذي كان ناصِري
سقَاه الحيَا لو كان حيّاً لما اعتدى   علَيّ زمانٌ باطِشٌ بَطْشَ قادِرِ
أيَمْحو الذي خطّتْه يُمْناه جابِرُ   لقَد سامَ بالاملاك احدى الكبائرِ

وعندما انتهت من إنشادها سلّمت لعبد الرحمن خطّ والده وأفْضت اليه بعُجَرِها وبُجَرِها ثم اخذ الامير خط والده ووضعه على عينيه ثم استشاط غضباً وقال « أنصرفي يا حسانة فقد عزلته لك، وحسبنا ان نسلك مسلك ابي واحفظ عهده » ووقع لها بمثل توقيع ابيه وامر لها بجائزة فذهبت الى حال سبيلها ، ثم بعثت إليه تقول شاكرة فضله :

ابنُ الهِشامَيْن خيرُ الناس مأثرةً   وخيرُ منتجَع يوماً لِرُوّاد
إنْ هزّ يوْمَ الوغى أثناء صَعْدَتِه   روّى أنابيبها مِنْ صرفِ فِرْصَاد
قُل للامام أيا خير الورَى نَسَبا   مُقَابَلاً بين آباءٍ وأجْدادِ
جوّدْتَ طبعي ولم ترض الظلامةَ لي   فهاك فضلَ ثناءٍ رائحٍ غادِ
فان أقمتُ ففي نُعماك عاطفة   وان رَحلْتُ فقد زوّدْتني زادي

تلك هي حسانة اولى الشاعرات الاندلسيات ــ على ما نعرف ــ شعرها كما رأينا سابقاً ، خليط من الرثاء والشكوى الحارة الملتهبة ، والمدح المعبر والاستصراخ القوي وهو على قدر لا يستهان به من النضج الفني ، والاصالة الشعرية المرتكزة على الثقافة المتينة ــ على نقيض ما زعمه « غرسيا غومس » كما مرّ بنا سالفاً ــ وهو ايضاً يتسم بمميزات تحدثنا عنها آنفاً، فالتركيز الفني والتجويد العاطفي كلاهما يلفان شعرها ، ويتخلل كلماتها، اذ برجوعنا الى ابياتها المتقدمة التي اولها :

إني اليك ابا العاصي موجّعة   ابا المَخْشِيْ سقَتْه الواكفُ الدّيَم

نجدها تفيض بذوبان العاطفة الحارة المعبرة ، ونجد كلماتها موحية منبئة بالحرارة الشعورية ، فلفظة (مُوَجّعة) في الشطر الاول من البيت مشددة الجيم توحي بأنين نفسها وتشي بما تنطوي حناياها عليه .

ولنتدبر بعد هذا بيتاً واحداً فقط من ابياتها التي انشدتها بين يدي عبد الرحمن الاوسط والتي يترقرق فيها التجويد الفني :

فإني وأيْتَـــامي بِقَبْضَة كَفّه كذي ريشٍ أضحى في مَخالب كاسِرِ

تأمل البيت فهو عبارة عن لوحة فنية تمثّل الايتام الضعاف بقبضة كف ظالمة باطشة لا ترحم ، كذي ريشٍ لا حول له أصبح تحت رحمة كاسر مفترس متوحش .

تأمل البيت تجده صورة ناطقة للتفجّع والحزن والمرارة اطلقته لَهَاة مكلومة جريحة ، يعبر عن الواقع الصارخ للصغار الذين ليس لهم من يحميهم من صولة الدهر وعدوان المعتدين الا هذه المرأة التي ترعاهم وتمنحهم من عَطْفها الشيء الكثير ... ولكن ماذا تفعل المرأة وهي نفسها في امسّ الحاجة الى من يقيها ظلم الظالمين وأرزاء الحَدَثان ، لذلك بحَثَت عن الناصر فلم تجد ... بحثت وبحثت من غير جدوى ، واخيراً عثرت عليه ... انه شِعرها الذي اتخذته سلاحاً مدافعاً ، سكبت فيه خطراتها المحملة بالبوح الشجي ، والفزع المبرح ، فكان شفيعاً لها عند الامير ، لان للكلمة المجنّحة تأثيرها وللحرف المُرَوْنَق سحره .

ذلك هو حديثنا عن حسانة الشاعرة التي تمثل هذه الفترة بالذات ، والتي لا نعلم شاعرة غيرها عاصرتها تفوقها شاعرية على الرغم من اننا لا نشك ان عصر الامارة لم يكن ــ منطقياً ــ خلواً من بعض الشواعر .

اما في ما يتعلق بمعاصرة حسانة للبنى كاتبة الحكم المستنصر كما قـــرر الاستاذ مصطفى صادق الرافعي(1) رحمه الله ، فذلك لم تثبته المصـــادر

المعتمدة ولم يوافق عليه الفرق الزمني ، وآية ذلك ان حسانة عاشت في عهد الحَكَم بن هشام وابنه عبد الرحمن الأوسط كما ألمعنا سابقاً. ويجوز لنا ان نفرض انها ولدت عام 154 هـ وهو عام ولادة الحَكَم الممدوح من طرفها ، ثم توفيت ، ولها مائة سنة فتكون سنة وفاتها حينذاك هي 254 هـ على حين ان لبنى توفيت سنة 374 هـ كما ذكر اصحاب الاخبار (1) ، ولنفرض استناداً على سنة وفاتها – يعني – انها ماتت ولها مائة سنة فتكون عند ذلك ولادتها سنة 274 هـ فالفرق الزمني واضح جلي يتمثل – على ابعد الفروض – في ان ولادة لُبنى وقعت بعد عشرين سنة من وفاة حسانة .

ومن هذا نستنتج ان لبنى عاشت في فترة الخلافة ، ولعل الالتباس الذي وقع فيه الرافعي انما مصدره الخلط بين الامير الحكم بن هشام والخليفة الحكم الثاني الملقب بالمستنصر بن عبد الرحمن الثالث الخليفة العظيم الملقب بالناصر .

ومما يؤكد عدم معاصرة حسانة لِلُبنى تأكيداً لا مجال للشك فيه ان عدد الافراد الذين جاؤوا بعد الحكم بن هشام خمسة وهم على التوالي : عبد الرحمن الثاني وهو الاوسط (206 – 238 هـ) ، محمد بن عبد الرحمن (238 – 273 هـ) ، المنذر بن محمد (273 – 275 هـ) عبد الله بن محمد (275 – 300 هـ) ، عبد الرحمن الناصر (300 – 350 هـ) ثم بعد ذلك يأتي الحكم المستنصر (350 – 366 هـ) الذي كانت لبنى كاتبة له .

اذن فقضية المعاصرة هذه مقطوع ببطلانها وهي في غنى عن المزيد من البيان والتعليق ويكفينا هذا القدر من الايضاح .

---

2 – قمر البغدادية(1)

جارية بغدادية وفدت على الاندلس مع من وفد عليها من النســاء المشرقيات ، اذن هي ليست أندلسية الأرومة ، الا اننا نعتبرها من شاعرات الاندلس لكونها سلخت جل حياتها في الفردوس المفقود ، فكان وطنها الثاني الذي احتضنها في كنفه واضطلع بتنمية مداركها العلمية وملكاتها الادبية .

وكانت شاعرتنا قمر جميلة الصورة ، رقيقة الحاشية ، ظريفة الحديث ، مثقفة ذكية ، انقادت اليها الكلمة الشعرية الموحية بِوُدّ ، فعبّرت بها عن خفقة الفؤاد في صدق ، وانصاعت لها ريشة العود باخلاص ، فصاغت منها ألحاناً تفيض رقة وعذوبة . اشتراها ابراهيم بن حجاج اللّخْمي الذي استقل بإشْبِيلْيَه في عهد عبد الله الامير الاموي .

ولست ادري هل عاشت عصر الخلافة الاموية ام لا ؟ كما عاش فترة منه معاصرها الشاعر ابن عبد ربّه الذي كان من جملة الشعراء الذين مدحوا مولاها ابراهيم بن حجاج .

من شعرها قولها تمدح مولاها مصوّرةً مدى فضله عليها وجوده العميم ، ورقة معاملته اياها التي جعلتها تنظر إليه نظرة تقديس واعجاب :

مَا في المَغَارِب من كَرِيمٍ يُرْتَجَى   الا حَلِيفُ الجـــود ابراهيمُ
إني حَلَلْتُ لَديهِ مَنْزِلَ نِعْمَةٍ   كُلّ المَنَازِلِ ما عَدَاهُ ذَمِيمُ

وحب الوطن غريزة راسخة في الكيان الانساني ، وهو أغنية مزمار حلوة ترددها شفتا الانسان في لذة انتشائية ، ومهما طاف هذا الانسان

الاصقاع ، واستنزف اياماً مترعة وليالي مرقصة في التطواف ، فانه يحس بانجذاب سحري، وحنان فوّار الى مدارج الصبا، ومسارح الطفولة، حيث تفتقت الاكمام لقطرات ندى الفجر الوليد .

وقد احست هذا الاحساس المتدفق شاعرتنا قَمَر ، وهي تعيش في الاندلس فقالت ناقلة إلينا دغدغات حناياها ونبضات مشاعرها ، متوشحة بلهاث جارف من الحنين ، الى روضة الحداثة « بغداد » الجميلة المعطاء ، حيث الساحرات من الفتيات العراقيات ، المتبخترات في رفوف من العيش البهي ، المتحليات بأخلاق جد طيبة ، تلك الاخلاق التي استمد منها الحب العذري الذي مثله في واحة الشعر العربي الحي ، جميل بُثَيْنة وأمثاله ، قيمه الخالدة وأضواءه الخيرة . تلك بغداد في عالم إحساس قمر ، لذلك هي تقدم نفسها وروحها فداء على مذبح حبها :

آها على بغدادِهـــا وعراقِها	وَظِبَائها والسّحرِ في أحْداقها
وَمَجَالِها عند الفُرات بأوْجِهِ	تَبْدو أهِلّتُهـــا على أطواقها
مُتَبَخْترَاتٍ في النّعيم كأنمـــا	خُلِقَ الهوى العُذْريّ من أخلاقها
نَفْسي الفداءُ لها فأيّ محاسنٍ	في الدّهر تُشْرِق من سَنَا إشراقها؟

عصر الخلافة

(316 - 422هـ)

الخلافة الاموية بدأ عهدها بمبايعة عبد الرحمن الثالث الذي لقب بالخليفة الناصر لدين الله سنة (316 هـ) وتنتهي بسقوط آخر أموي في قرطبة(1) وظهور ابن جَهْوَر سنة (422 هـ)، ففي ظلال هذه الخلافة ولا سيما في عهد عبد الرحمن الثالث وابنه الحَكَم انتعشت الحياة الثقافية في الاندلس ايما انتعاش، وتعددت اوجه النشاط المعرفي، مِمّا ادى الى بروز الشخصية العلمية الاندلسية واستقلالها، وقد ساعد على ذلك انتشار الاستقرار والامن والرخاء والرقي، وتشجيع الملكات والمواهب. فالناصر رَحّب بأبي علي القالي الذي حمل معه رصيداً ضخماً من علم المشارقة، كما حمل معه دواوين كثيرة لاكبر ادباء العربية، والحَكَم ثبت انه كان مولعاً اشد الولع بالكتب حتى سماه (لين بون): «دودة كتب»، فأرسل الى القاهرة وبغداد ودمشق والاسكندرية اشخاصاً ينسخون له الكتب النفيسة، ولا ادل على ذلك من مكتبته الثّرّة التي شملت اربعمائة ألف مجلد(2)، وابتياعه «كتاب الاغاني» من صاحبه ابي الفرج الاصبهاني بألف دينار بعثه اليه قبل ان يظهر في الاسواق البغدادية وهذه الحقيقة تحدث عنها ابن الخطيب في منظومته التاريخية «رقم الحُلَل» بقوله:

كانَ حليماً عالماً خبيــرا	وبالحروبِ أحْكَم التّدْبيرا
قَدِ اقتنى خَزَائنَ العُلومِ	وحَضّ اهلها على القُدُوم (3)

ولا أدلّ على ذلك ايضاً من نبوغ كثير من جهابذة العلماء، ففي الحلبة اللغوية نبغ أبو بكر الزبيدي الذي عمل كتابه (مختصر العين) وألف كتاب (طبقات النحويين) وكتاب (الواضح في العربية)، ونبغ ايضاً ابو بكر ابن القُوطِيّة صاحب كتاب (تصاريف الافعال) وكتاب (المقصور والممدود).

وفي الحلبة التاريخية نبغ احمد بن محمد بن موسى الرازي ومن تواليفه كتاب في (اخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم) وعريب ابن سعد ومن كتبه (صلة تاريخ الطبري) .

وهكذا برز في الميدان كثير من العلماء الاندلسيين في شتى فروع العلم وضروب المعرفة من تفسير وحديث وفقه ورياضيات وطب .

وليس من شك والحياة اليانعة البهية الزاخرة بمختلف الحركات العلمية ان ينهض الادب معبراً عن أصالة الحياة ومعطياتها ، وعن عمق الواقع ومتطلباته ، لذلك نلاحظ ان الادب الاندلسي في هذه الفترة يتخذ لنفسه ظواهر منها ما يتصل بالاتجاهات الشعرية وما اعتورها من زيادات وتطور ، وما يتعلق بالافكار والمعاني .

فمن حيث الاتجاهات ، هناك اتجاه محافظ جديد ، طرأ على الادب الاندلسي ، وظهر في المشرق مضاداً للاتجاه الجديد الذي حمل لواءه ابو نواس متجنباً فيه كثيراً من التقاليد التي اتسم الشعر العربي بها .

اذن، هذا التيار محافظ من ناحية ، مجدد من ناحية اخرى ، محافظ على منهج القصيدة العربية ولغتها وايقاعها ، ومجدد في المعاني والصور والاسلوب(1) .

وفي هذا الصدد يعلل الدكتور احمد هيكل سبب ظهور الاتجاه المحافظ الجديد في عهد الخلافة بقوله : « وانما ظهر هذا الاتجاه المحافظ الجديد في فترة الخلافة ، لانه اتجاه مرتبط كثيراً بالاستقرار الحضاري ، والتعقل الاجتماعي ، والهدوء الثوري ، فهو قد ظهر في المشرق منذ اوائل النصف الثاني من العصر العباسي الاول ، بعد ان هدأت حدة الانبهار باللقاء الاول مع المستحدثات الحضارية ، وبعد ان شبع شعراء القرن الثاني ثورة ولهواً ومجوناً ، وبعد ان جاء القرن الثالث وقد ألف المجتمع العربي الحضارة ومستحدثاتها ولم يعد يجن بها فيفقد اتزانه ، كما فعل من قبل جيل ابي نواس .

وقد كان المجتمع الاندلسي في فترة الخلافة قد الف الحضارة كذلك ، واستنفذ انبهاره ودهشته بالمستحدثات في الفترة السابقة ، ولهذا بدأ كثير من الاندلسيين يهتمون بالاتجاه الشعري الجديد ، ويجدون فيه طريقاً فنياً ملائماً للتعبير عن حياتهم المتحضرة المستقرة المتعقلة (1) » .

وعلى الجملة فان الشعر الاندلسي خلال هذه الفترة سار في اتجاهات : الاتجاه القديم والاتجاه المحافظ الجديد ، والاتجاه المحدث الذي ظل في نمو مطرد تبعاً لوجود اسباب تفرضه ، اذ الحياة الاندلسية رغم ما ساد مرافقها من امن وهدوء، فقد امست من زاوية اخرى تتسم بالتحرر والانفلات من المواضعات ، والاستخفاف بالاخلاق والمثل العليا كشيوع الخمر واللجوء الى اللهو والمجون والغزل بالمذكر، رغم ان هذا الاتجاه قد تطور اذ اصبح في الغالب همّ الشاعر ووكده عوض المجون والاستخفاف ، التفنن في الشعر والتجويد في مضامينه وافكاره .

هذا وان الشعراء الذين يمثلون هذا العصر خير تمثيل من الرجال هم ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربّه (246 — 328 هـ) و ابو الحسن محمد بن هانيء الازدي (320 او 326 — 362 هـ) واحمد بن درّاج القسطلي (347 — 421 هـ) واحمد بن شهيد (382 — 426 هـ) وغيرهم ممن لم نذكرهم ، ومن النساء عائشة بنت احمد القرطبية، وحفصة بنت حمدون الحجارية وغيرهما .

---

3 – عائشة بنت احمد القرطبية(1)

شاعرة رقيقة استرعت الانظار ، وهي من طبقة سراة العاصمة ، لم يكن في زمانها من يضارعها علماً وادباً وفهماً وشعراً وفصاحة ، كانت حسنة الخط تكتب المصاحف وتمدح الملوك ، وتخاطبهم بما قد يعرض لها من حاجاتها الضرورية ، وتوفيت شاعرتنا بكراً سنة (400 هـ) .

دخلت عائشة يوماً على المظفر بن المنصور بن ابي عامر وبين يديه ولده فقالت مرتجلة :

اراكَ اللهُ فيــهِ ما تُرِيد	ولا بَرِحَت معاليكم تَزِيدُ
فَقَدْ دَلّت مَخَايِلهُ على ما	تُؤمِّلهُ وطَالَعُه السّعِيدُ
تَشَوّقتِ الجيادُ له وَهزّ الـ	ـحُسَامُ هَوَى وأشْرَقَتِ البنُودُ
فَسوفَ تراه بـــدراً في سماءٍ	مِنَ العَلْيا كواكبُه الجُنودُ
وكيفَ يخيبُ شِبلٌ قد نَمَتْهُ	الى العَلْيا ضراغمةٌ أسودُ
فأنتم آلُ عامر خيرُ آلٍ	زكا الابناء منْكُم والجُدودُ
وَليدُكُم لدى رَأيٍ كَشَيْخ	وشيخُكم لدى حَرْبٍ وَليدُ

ابيات في عمومها غاية في الروعة والجمال، على الرغم من أنها تتوفر على صور تقليدية ليست مبتكرة كتشبيهها في البيت الرابع ابن المظفر ببدر في سماء العلياء تناصره جنود هي الكواكب، والبيت الاخير اروع اذ أشادت فيه بآل عامر إشادة فيها من المبالغة النصيب الاكبر ، ذلك ان الوليد الصغير فيهم – آل عامر – عند الرأي والشورى كأنه شيخ محنك ، تصدر عنه الافكار الصائبة والآراء السليمة ، والشيخ الهرم فيهم عند الوغى يصول ويجول في ميدانها كأنه الوليد صحة ونشاطاً .

وقد طلب يدها احد الشعراء فلم ترض به بعلاً ، فكتبت اليه تؤنبه ، ولكنه تأنيب جاوز نطاقه ، وتعدى مداه ، ذلك لانها تربأ بنفسها عن أن تكون مناخاً لاحدٍ طول الدهر ، فما ترضى بهذا الاسر ابداً . ولو ارادت الزواج لما تزوجت منه ، فكم سدت سمعيها عن الاسود فما بالك بكلب لا يساوي شروى نقير :

انا لبــوةٌ لكنني لا أرتضي نفسي مناخاً طولَ دهري من أحدْ
ولَوَ أنني اختارُ ذلك لم أُجِب كلباً وكم غلّقْت سَمْعيَ عن أسدْ

ان ما فرط من الشاعرة من هجاء ، وهي المتخلقة بأخلاق حسنة ، ليس الا نتيجة لسَوْرة غضبية نفسية ، وآية ذلك انه قد يكون بينها وبين ذلك الشاعر الذي تقدم لخطبتها خصومة او عداوة قديمة دفينة او قد تكون — هي — تعرف عنه ما لا يؤهله لان يرقى الى منزلتها ، لذلك استشاطت غضباً ساعة سمعت النبأ فلم تملك — لحظتئذ — زمام نفسها فنعتته بالكلب .

ولعل كبرياءها ونخوتها جنت عليها ، فجعلتها تمتنع عن قبول اي رجل لا تراه اهلاً لها ولهذا ظلت عذراء تجعل اصابعها في أذنيها حتى لا تسمع مالا يروقها الى ان توفاها الله .

ولعائشة مطلع جميل رقيق في بعض الرؤساء لم نعثر على ما جاء بعده من ابيات تقول فيه :

لولا الدّموعُ لما خَشيْتُ عَذُولا فهي التي جَعَلَت إلَيْكَ سبيلا

---

4 – حفصة بنت حمدون الحجارية(1)

شاعرة اديبة عاشت في المائة الرابعة ، وهي من وادي الحجارة(2) اعتزّت بها بلدتها كما يقول ابن سعيد في « المُغْرِب » – لما تحتله من مكانة ادبية مرموقة ومنزلة علمية معروفة ، من شعرها قولها :

رأى ابنُ جَميلٍ أنْ يَرى الدّهْرَ مُجْملا
فكل الورى قد عَمّهم سَيْبُ نعمته
له خُلُقٌ كالخَمْر بعد امتزاجها
وَحُسْنٌ فما أحلاه من حين خِلْقَتِه
بِوَجْهٍ كمِثْلِ الشّمس يدعو بِبِشْرِه
عيوناً ويُعْشيها بإفراطِ هَيْبَتِه

ولها في حبيب لا ينثني لعتاب ، واذا ما تركته تمادى في التيه والخيلاء ، وسألها يوماً : هل رأت له شبيهاً ؟ فكان ردها له : وهل ترى انت لي شبيها؟ :

لي حبيبٌ لا يَنْثَني لِعِتَاب   واذا ما تَرَكْتُهُ زادَ تِيها
قال لي : هل رأيتِ لي من شَبيهٍ ؟   قلتُ ايضاً وَهَلْ تَرَى لي شَبيها؟

وقولها : تذم عبيدها متضجرة من بلادة بعضهم ، وشاكية من كيد البعض الآخر :

يّا ربّ إني من عبيدي على   جَمْر الغَضَا ما فيهمُ من نَجيبْ
إما جَهولٌ أبلهٌ مُتْعِبٌ   او فَطِنٌ من كَيْدِهِ لا أخيب(3)

وتقول في الوحشة ، وحشة الاحبة المتمادية ، والليلة التي ودعتهم فيها وهي ما هي ، هذه الليلة بعد الفراق قضتها ملتاعة الفؤاد جريحة النفس مؤرّقة الجفن :

يا وَحْشتي لأحبـــتي   يا وحشةً متمـــاديهْ
يا ليـــلةً ودّعْتُهم   يا ليلةً هـــي ماهيهْ

---

5 – الغسانية البجانية(1)

شاعرة من شواعر بَجّانة بالنون نسبة الى هذه المدينة ، عاشت في القرن الرابع الهجري كما يقول المقّري في النفح ، غير ان ابن سعيد في « المُغْرب » نقلاً عن الحجاري ، يذهب الى القول بأن شاعرتنا عاشت في مدة ملوك الطوائف يعني في المائة الخامسة ، وهذا التناقض لفت نظر محقق (المُغْرب) الدكتور شوقي ضيف فعلق عليه مؤيداً ابن سعيد من غير ما حجة فقال بالحرف الواحد : « ذكرها المقري في النفح 539/2 وقال انها من اهل المائة الرابعة ولعل هذا سهو منه فقد كانت – كما يقول ابن سعيد – في مدة ملوك الطوائف اي في المائة الخامسة » .

وانا ارى ان شاعرتنا عاشت عصرين : عصر الخلافة في اواخره ، وعصر ملوك الطوائف ، وهذه الخضرمة معروفة في الادب العربي لا تحتاج الى بيان ، وبهذا الفرض الذي اعتقد انه على جانب كبير من الصواب خصوصاً وان سنة ميلاد الشاعرة وسنة وفاتها مجهولتان ، نتيقن بأن ابن سعيد والمقري على حق في ما ذهبا اليه على نقيض ما جاء في تعليق الدكتور شوقي ضيف . وآية ذلك ان الغسانية مدحت خيران العامري – كما سيأتي وشيكاً – وخيران هذا من موالي العامريين ، حكم ألْمَرِيّة ومُرْسِيَة من سنة (405 – 419 هـ) ولا ريب ان الشاعرة قد سلخت اعواماً من عمرها في القرن الرابع وشاهدت فترة الخلافة ولا سيما أيام حكم محمد بن ابي عامر الملقب بالمنصور وهو ما يسمى بعصر الحجابة .

وشاعرتنا الغَسّانية – وبذلك تعرف من غير اسم – لها قصيدة رائعة لم تصلنا منها الا ابيات هي عبارة عن مقدمة للمدح في الامير خيران العامري ،

وقد عارضت بها الشاعرة اباعمر احمد بن درّاج القسطلي الشاعر الاندلسي المشهور في قصيدة طويلة نونية قالها في نفس الامير يقول فيها :

لك الخَيْرُ قد أوْفَى بعهدِكَ خَيْرانُ
وبُشْراك قد وافاك عِزّ وسلطانُ
هو النجمُ لا يُدْعى الى الصّبْح شاهِدٌ
هو النور لا يُبْغَى على الشّمْس بُرْهَانُ

تقول الغسانية :

أتَجْزَع إنْ قالوا سَتَظْعن اظعان	وكيف تُطيقُ الصّبْر ويْحَك إنْ بانوا
وما هُوَ الا المَوتُ عند رَحيلهم	وإلاّ فَعَيْش تُجْتَنَى منهُ أحزانُ
عَهِدْتُهُمُ والعَيْش في ظِل وَصْلهم	أنيقٌ ورَوْضُ الدّهْرِ أزْهَرُ ريّان
ليالي سَعْدٍ لا يُخَافُ على الهَوَى	عِتَابٌ ولا يُخْشى على الوَصْل هُجْران
ويَسْطُو بنا لَهْوٌ فَنَعْتَنِقُ المُنَى	كما اعْتَنَقَتْ في سَطْوَة الرّيح أفْنَانُ
الا ليتَ شعري والفراقُ يكون هل	تَكونونَ لي بَعْدَ الفِرَاقَ كما كانوا

واذا استعرضنا هذه الابيات والقصيدة القسطلّيّة ، وجدنا ان الغسّانيّة في ابياتها لا تستطيع ان تتفوق على ابن دراج ، بيد اننا لا نتسرع في اطلاق هذا الحكم دون ان نضع نتاج كليهما في ميزان المقارنة ، وذلك لا يتسنى لان القصيدة الغسانية لم اعثر عليها كاملة في المصادر التي بين يدي ، ومن المحتمل ان تكون ضاعت مع ما ضاع من الادب النسوي او تكون بين طيات مصدر مطبوع او مخطوط لم اتمكن من الحصول عليه لذلك فالمقارنة في هذه الحالة من الصعوبة بمكان .

6 – مريم بنت ابي يعقوب الانصاري (1)

شاعرةٌ شِلْبِيّة كما عند ابن بَشْكوال الا ان المَقّري صرّح في النّفْح بأنه غير متيقن من نسبتها الى (شِلْب) بقوله: «وأصلها والله اعلم مـن شِلْب» مع العلم أنه ينقل عن ابن بَشْكوال معلومات عنها بأسلوبه تقريباً، ويذكر ان مصدره (المُطْرِب) لابن دِحْية، في حين ان ابن دِحْية لم يترجم لها البتة، وهذا خلط نعثر عليه في «النّفح» بين الحين والآخر.

ومريم هذه قطنت إشْبيلية وكانت تقوم بمهمة تعليم النساء، وقد اتسمت بالعفة والفضيلة والحشمة، سلخت من اهاب الزمن سنين طويلة، ولم تستفض شهرتها الا بعد القرن الرابع الهجري.

بعث اليها يوماً المهند دنانير وكتب اليها:

مَالي بِشكْرِ الذي أوَليْتِ من قِبَلِ لو أنني حُزْتُ نُطْقَ اللّسْن في الحِلَلِ
يا فَذّةَ الظّرْفِ في هذا الزمان ويا وَحيدةَ العَصْرِ في الاخلاص في العَمَلِ
أشْبَهتِ مريماً العذراء في وَرَعٍ وَفُقْتِ خَنْساءَ في الأشعارِ والمَثَلِ

وأجابته بقولها:

مَنْ ذا يجاريكَ في قولٍ وفي عَمَلِ وقد بَدَرْتَ الى فَضْلٍ ولم تُسَلِ
مَالي بشُكْرِ الذي نَظّمْتَ في عُنُقي من اللآلي وما أوْليت من قِبَلِ
حَلّيْتني بِحُلى أصْبَحْتُ زاهيةً بها على كل أُنثى من حُلى عُطُلِ
لله أخلاقك الغُرّ التي سُقِيَت ماءَ الفرات فَرَقّتْ رِقّة الغَزَلِ
أشْبَهت مَرْوان مَنْ غَارَتْ بَدائعهُ وأنْجدت وغَدَت من أحسَنِ المَثَلِ
مَن كان وَالِدَهُ العَضْبُ المُهَنّدُ لم يَلِدْ من النّسْل غيرَ البيضِ والأسلِ

وتَبْلُغ شاعرتنا مريم من الكبر عتياً فلا تعود تقدر على المشي الا بواسطة العصا ، حينذاك تشعر بحسرة تعصر فؤادها وتحس بأسىً يستبد بنفسها فتقول مترجمة احاسيسها الجريحة، ومصورة حالة الشيخوخة كأحسن ما يكون التصوير فتجعلنا نشاهدها ــ كما نشاهد لوحة زيتية لفنان بارع يتقن توزيع الالوان ، ووضع الخطوط ــ وقد رق عظمها، وتهلهل جلدها، واخذت تمشي على مهل مستعينة بالعصا كما لو كانت مكبّلَة القدمين تهزهما ببطء شديد شأن الاسير السجين ، غُلّت قدماه ، والشيخوخة لا شك انها قيد وايّ قَيْد للانسان :

وما يُرْتَجَى من بنتِ سَبْعين حِجّةً
وسَبْعٍ كَنَسْجِ العنكبوت المُهَلْهَلِ

تَدِبّ دبيبَ الطّفْل تسعى الى العَصَا
وتَمْشي بِها مَشْيَ الأسيرِ المُكَبّلِ

7 – صفية بنت عبدالله الريو[1]

هذه الشاعرة الرقيقة لم تعش طويلاً ، وَدّعت الحياة وهي ما تزال في ميعة الشباب ، ودعتها وهي تتألق بهجة وحيوية ونضارة ، وذلك سنة (417 هـ) وسنها لم تتجاوز الثلاثين .

تقول هذه الشاعرة الشابة وقد عابت امرأة خطها :

وعَائِبَةٍ خَطّي فقلت لها اقصِري فسوف أُريكِ الدُّرّ في نَظْمِ أسْطُرِي
وناديتُ كَفّي كي تجودَ بخطهـــا وقربت أقلامي وَرِقّي وَمِحبَرِي
فَخَطّت بأبياتٍ ثلاثٍ نَظَمْتُها لِيَبْدو بها خَطّي وقلتلها انْظُري

وذلك كل ما عثرنا عليه من اخبارها وهو قليل ، جد قليل قلة الاعوام التي عاشتها ، وذاك من أسباب سكوت المصادر عن أخبارها .

عصر ملوك الطوائف
(422 - 484هـ)

حتى اذا سِلْكُ الخِلافة انتشرْ   وذَهَبَ العَيْنُ جميعاً والأثرْ
قامَ بكلِ بُقْعةٍ مليكُ   وصاحَ فوقَ كل غُصْنٍ دِيكُ
وكَثُر العادي بها والحَائِفُ   واقتَسَمَت أقطارَها الطوائفُ (1)

هذه الابيات ارجوزة(2) ابن الخطيب في دول الطوائف التي يتحدث فيها عن ذهاب الخلافة الاموية ، وتفرق كلمة المسلمين شَذَرَ مَذَرَ ، واضطراب حبل الامن في البلاد، ورغم اختلال انظمة الحكم وفساد المقاييس السياسية ، واستئثار كل امير بدويلته ، الامر الذي جعل هذه الدويلات اشبه بجمهوريات ايطاليا في ثياب شرقية كما يقول غرسيا غومس(3) ، فان الآداب والعلوم في هذه الفترة اورقت غصونها، وتبرعمت براعمها في صورة مثلى تبعث على العجب ، وذلك يرجع الى تعزيز الأمراء للحركة العلمية ، وتشجيعهم لضروب المعرفة على مختلف أشكالها وألوانها . فكانت هذه التفرقة نقمة على وحدة المسلمين بيد انها حملت في طياتها نعمة العلم والادب.

ونتيجة لذلك انتعشت الحياة الادبية فأثمرت المواهب المتفتحة ، وتندت الأذهان بلطيف النتاج ، وصقلت العقول ، وحلّق الخيال في سموات السحر والجمال ، فكانت من ذلك المقطعات الفاتنة ، والموشحات الجميلة ، والقصائد العذاب ، التي تصف في ما تصف الطبيعة الصامتة والناطقة التي باتت بالنسبة للشاعر مرتعاً لخياله ، ومقيلاً لافكاره ، اذ انها تنشيه باهتزاز الازهار وانسياب الجداول ، وتأوّد فروع الدوحات ، وتمايل عذبات الاشجار ، وتأوّه حفيف الاوراق وهفيف الغصون . ومن اجل ذلك هتف شاعرهم مستهاماً مأخوذاً :

يا اهلَ أنْدَلُس للهِ دَرّكُمُ   ماءٌ وظلٌ وانهارٌ وأشْجارُ
ما جَنّةُ الخُلد الا في دِيارِكُمُ   وَلَوْ تَخَيّرتُ هذي كُنتُ أخْتارُ

وايا ما كان الامر فان الادب في هذه الفترة تقدم تقدماً ملحوظاً رغم انه ينهل من منهل الادب المشرقي ، ولكنه يعرض في معارض جديدة فيها من الطرافة والجودة والرقة والابتكار ما ينسي الاصل المستمد منه ، وذلك مرده جميعاً الى العامل الآنف الذكر، وبالتالي الى اتساع الدائرة الادبية ، اذ لم تعد قرطبة وحدها قبلة الأنظار يؤمها الشعراء من شتى الانحاء ، بل تكاثرت المراكز الادبية ، كما تكاثر المادحون ومحبو الادب ، واصبح التنافس على اشده بين المدن والبلدان ، فاستطاعت الاندلس ان تظفر بحظ كبير من النشاط العلمي والادبي ، ذلك ان ملوك الطوائف تباروا على أبهة الملك ، فكل ملك يريد ان يبذ أخاه أو منافسه في الناحية المادية والادبية والعقلية وكان منهم بنو هود بطُرُطُوشة وسَرَقُسْطَة ، وبنو الأفطس ببَطَلْيَوْس ، وبنو صُمَادح بألْمَرِيّة ، وبنو عَبّاد بإشْبيلية وبنو جَهْوَر بقُرْطُبُة .

وليس هذا فقط كان من أسباب امتداد الحركة الادبية والعلمية ، بل ان الملوك انفسهم منهم من كان اديباً مثقفاً مطلعاً شغوفاً أشد الشعف بالعلم ، ولوعاً اشد الولع بأصناف المعرفة ، ودليلنا على ذلك المُظَفّر صاحب بَطَلْيَوس الذي جمع في خزانته رصيداً كبيراً من الكتب التي استطاع بها ان يكوّن موسوعته التي سميت بالكتاب المظفري وان يكتسب ذوقاً ادبياً وملكة نقدية، وقد روي انه قال: « من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي والمعرّي فليسكت » (1) .

وكذلك المعتمد بن عبّاد وهو اشهر من ان يعرف به في هذا الميدان يقول عنه المراكشي : « واجتمع لَهُ من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله »(2) .

ومن المقطوع به ان اشبيلية بلد الحَرْف المُجَنّح والكلمة البهية كانت تضج حركة وجلبة كخليّة نحل ، بهواة الشعر ومُعَالجيه ، اذ اصبحت هذه المدينة مقصداً لأولئك ولغيرهم ممن هام بسحر الكلمة وجمال الحرف، من جميع الجهات ، وكان من بينهم ابن زيدون (394 — 463 هـ) .

وخصائص الشعر في هذه الفترة بالذات لا تعدو تلك الخصائص التي تلمسناها في عصر الخلافة الا ان تطوراً ملحوظاً اعترى الشعر الاندلسي في هذا الاوان في مضامينه تبعاً لمجريات الحياة وملابسات الظروف ، وهذا التطور يمكن لنا ان نستقطبه في ما يلي :

تيار فلسفي وزهدي، وتيار هجائي عنيف مقذع، ووصف الطبيعة والغزل، ورثاء الممالك .

ويمثل الاتجاه الفلسفي في الشعر : عبد الجليل بن وَهْبُون ، والزهدي : السّمَيْسرَ والهجائي المقذع : ابن سَارة الشّنْتَريني (1) وسنلحظه عند وَلاّدة وصاحبتها مُهْجة ، ووصف الطبيعة : شعراء ، على رأسهم ابن خَفَاجة (450 — 533هـ) الذي استطاع ان يتفنن في الوصف فيستغل الطبيعة استغلالاً فائقاً ، فيربط بها حالته النفسية مستعملاً في ذلك براعته الشعرية في التشخيص ، وقدرته الفنية في بعث الحركة الحية في ما توحيه اليه رؤيته الخاصة وتبدّى ذلك في قصيدته عن الجبل وهي من غرره يقول فيها :

وأرعنَ طَمّاح الذوأبة بَـــاذخ	يطاول أعنـــان السماء بِغَارِب
يَسُدُ مَهَبّ الريح عن كل وُجْهَةٍ	ويَزْحُم ليلا شُهْبه بالمَنَاكب
وَقورٌ على ظهر الفَلاة كـــأنه	طِوَالَ الليالي مُطْرِق في العَواقِبِ

ويلاحظ ان الغزل عند الشاعر الواحد يتجه اتجاهين متباينين : غزل عفيف، وغزل مجوني كما عند ابي جعفر احمد بن الأبّار احد شعراء المعتضد، كما يلاحظ ظهور شخصيات نسائية يدور حولها الغزل .

ولا بأس ان نجعل مسلك ختام هذا الحديث عن عصر الطوائف ما قاله ابو الوليد الشّقُنْدي في رسالته في فضل اهل الاندلس :

« ولما ثار بعد انتثار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد ، كان

في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد ، إذ نفّقوا سوق العلوم ، وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم، فما كان أعظم مباهاتهم الا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني ، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني ، وليس منهم الا من بذل وسعه في المكارم ، ونبهت الامداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم الخ... » (1) .

---

8 – ولادة بنت المستكفي (1)

اميرة حسناء ، فاتنة ساحرة ، جذابة مرحة ، خفيفة الظل ، حلوة الروح ، ناقدة شاعرة ، حصيفة ذكية ، بصيرة بالاساليب الشعرية متمكنة من الاسرار العربية ، استقبلتها الحياة والمعارك محتدمة ، وجيوش المسلمين تتلاطم تلاطم الأمواج العتية من علويين وبربر وأمويين .

أتت الحياة عند أفول شمس اجدادها ، فوجدت الملك على وشك ان يصبح ذكريات تطفو على وجه الزمن ، وشتيت حطام تتقاذفه العواصف الضارية ، واضغاث احلام تقتات عليها الانفس الجريحة اللاهثة .

تبرعمت براعم صباها في جو مكهرب مخيف ،فوالدها (2) محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الناصري الملقب بالمستكفي تولى الخلافة عام (414 هـ) فكان بلية ومحنة على اهل قرطبة ، اذ انه كان مجبولاً على الجهالة ، عاطلاً من خلة تدل على فضيلة كما يقول ابن بسام ، كما كان عبداً لشهواته لا يهمه من الدنيا غير بطنه وفرجه .

اوقع بنو حمود بأمراء بيتها فلم يكتب لهم النجاة غير ابيها الذي لم يدم متربعاً على العرش سوى تسعة عشر شهراً ، على حين ظلت شاعرتنا ولّادة بقرطبة تثقف نفسها ، وتنهل من مناهل الادب والعلم وكانت اول من سن للنساء سنة الانكشاف ، وتمزيق حجاب الحشمة والوقار ، ولا سيما وهي بنتٌ لِقَيْنَةَ حَبَشِيّة – قد تكون أمها سكرى الميرورية المرأة الخبيثة كما وصفها ابو حيان – والقيان كما هو معروف لم يكن لهن حجاب .

من اجل ذلك غشي منزلها الادباء والشعراء ، واتخذوه منتدى لهم يديرون

بين جنباته احاديث في شتى الفروع العلمية والادبية ، وما قامت به ولادة في ادبنا قامت به في الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر الميلادي (مدام دي ديفاند) التي كانت هي بدورها ميالة الى اللهو والعبث ، واحبها نبغاء الفكر حينذاك أمثال فولتير ومنتسكيو وكذلك (مدام وازيل دي لسبيناس) ، والآنسة مي زيادة — مع فارق طبعاً في الحشمة والتصون — في ادبنا العربي الحديث .

ومهما يكن فولادة وجدت في جوها الحافل متنفساً ينسيها الفواجع التي تجرعتها ، والأرزاء التي أذاقتها الأمرّين ، وحاولت ان تتغافل عن كل ذلك بما تقوم به من مقابلات في قصرها لرواد الثقافة ، وما تقضيه معهم من الساعات الطوال في المطارحات الأدبية .

ونحن اذا قمنا بالبحث عن عفافها واستقامتها الخلقية ، وجدنا اصحاب الاخبار كالمقرّي وابن بسّام مثلاً يصفانها بالعفاف فيقول هذا الاخير وهو أسبق وجوداً من المقرّي :

« ... ويتهالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها وكثرة منتابها ، تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب على أنها — سمح الله لها وتغمد زللها — اطّرحت التحصيل ، وأوجدت الى القول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها »(1) .

وليت شعري كيف نوفق بين قول ابن بسام يصفها بطهارة الاثواب وبين مجاهرتها باللذات ، فهو تناقض لامحالة ظاهر واضح ، وخاصة حين نعثر على قول لأبي عبد الله ابن مكي شيخ ابن بشكوال نصه : « لم يكن لها تصاون يطابق شرفها »(2) .

وكان من الممكن لابن بسام ان يمر مرّ الكرام على قضية (طهارة الاثواب) دون ان يحاول تبرئتها من المجون ولا سيما وقد اورد نصوصاً تثبت عكس ما ذهب اليه ، وليس معنى هذا ان ابن بسام يجور على التاريخ ،

وانما نعزو ذلك الى روحه الطيبة التي منعته من ان يقر اقراراً باتاً بمباذلهـا ويتبدى ذلك في قوله متحفظاً « هكذا وجدت الخبر ، وأبرأ الى الله من عهدة ناقليه »(1) .

وبالجملة فاننا نستطيع – ما دامت البراهين بين ايدينا مستقاة في بعضها من ابن بسام نفسه – ان نقر – الى حين تظهر براهين اخرى معاكسة – ان شاعرتنا ولادة كانت مستهترة لا تكترث لما يخدش شرفها وكرامتها تأخذ الحياة على انها رشفة من كأس الملذات . وقبلة حارة من خد اسيل .

وفي الحق ، انها لا تتحلى بعفاف خلقي كما ينبغي ان تتحلى به فتاة مثلها في ثقافتها ووعيها ، ولا تعرف حدوداً تقف عندها لحريتها الشخصية ، ولو كانت تتوفر على نصيب من العفاف لما تجرأ صاحبها ابن زيدون على تسجيل كل ما جرى له معها في ليلة زاهرة حلوة عذبة في قطعة نثرية اثبتها ابن بسام الذي وصفها بطهارة الاثواب كما رأينا سابقاً .

ونص القطعة يبتدىء من قوله : « كنت في ايام الشباب ، وغمـرة التّصَاب ، هائماً بغادة تدعى وَلاّدة » الى ان يقول في اباحية سافرة « وبتنا بليلة نجني اقحوان الثغور ، ونقطف رمان الصدور »(2) .

وقد يمكن لنا ان نتهم ابن زيدون بأنه نسج بعض حوادث الحكاية من خياله عن قصد ، تشفياً ، بعد ان وقع الخصام بينهما ، وخاصة وهو الشاعر الرقيق القادر على التفنن في الخيال وقد يصدق هذا وقد لا يصدق ، بيد انه يسوغ لي أن أؤكد ان ما صرح به الشاعر يعتمد على اصل وجذور .

وبالاضافة الى هذا الرأي اضيف رأياً آخر هو ان ابن زيدون ما كان ليتوقح عليها في اختلاق القصة من الخيال لو لم يكن لها اصل ترتكز عليه ، اذ ان هذا الاختلاق خطير جداً عليه – وهو له اعداء على رأسهم ابـن عبدوس – لا بد ان يكون له رد فعل عنيف وعنيف جداً من طرف وَلاّدة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وان كانت ولادة قد اقذعت في هجائها له ،

غير انها ما تعرضت لدحض القصة وتفنيدها ، ولو انها وجدت سبيلاً الى ذلك ما توانت عن اجتثاث القصة من جذورها .

والظاهر لمن يقرأ ما كتبه ابن زيدون عن الليلة التي قضاها مع صاحبته ان الشاعرة كانت تزوره ليلاً — ومن يدري لعل الحكاية تكررت مرات ومرات — بعد ان ينام الناس فيفيء كل واحد الى فراشه حتى يخلو لهما الجو ، وهي نفسها تؤكد هذا وتعترف به — والاعتراف كما يقول رجال القانون سيد الادلة — في قولها : :

تَرَقّبْ اذا جَنّ الظلام زيارتي   فاني رأيتُ الليلَ أكْتَمَ للسّرِ
ولي منكَ ما لو كانَ بالبَدرِ ما بَدَا   وبالليل ما أدْجى وبالنّجْمِ لم يَسْرِ

وما معنى (ترقب اذا جن الظلام زيارتي الخ) ، هل يعني انهما سيلتقيان ليبث كل لصاحبه هواه واختلاجاته، ويتركان روحيهما تتناغيان في عالم الاحلام لا تدنسها رغبة او نزوة ؟

وكيف يكون لقاؤهما نقياً نقاوة ماء المُزْن وهي التي كتبت على عاتقي ثوبها في إباحية متناهية :

أنَا واللهِ أصْلُح للمَعَالي   وأمْشي مِشْيَتي وأتيهُ تِيهـا
أُمَكّن عاشقي من صَحْنِ خَدّي   وأُعطِي قُبْلَتي مَنْ يَشْتَهِيها

ورغم ذلك كله فهناك من يزعم ان الاشعار الاباحية التي صدرت عن وَلاّدة وشواعر أخر إنما هو من قبيل التغزّل والتخيّل ، شأنهن في ذلك شأن الشعراء الذين قال فيهم القرآن الكريم : « ألَمْ تَرَ أنّهُمْ في كُلّ وادٍ يهيمُونَ ، وأنّهُمْ يقولونَ مالا يَفْعلونَ » ثم يستدل على عفتها بقول ابن زيدون نفسه:

وَغَرّكَ من عَهْدِ وَلاّدةٍ   سَرَابٌ تراءى وبَرْقٌ وَمَضْ
هِيَ الماءُ تأبى على قَابِضٍ   وَيَمْنَعُ زُبدَتَه مَنْ مَخَضْ

ولكن هذا الرأي لا ينهض حجة مقنعة تستند على المنطق ، اذ لو سلمنا بهذا التأويل المفتعل ، والتعليل المتكلف ، لاقتضت الحال ان نقوم بنفس العمل بالنسبة للنتاج الادبي الاباحي الذي تفتقت عنه قرائح شعرائنا في الادب العربي ولانهارت بذلك كثير من الحقائق التي استقاها النقاد من النصوص الشعرية .

ومن المسلّمات ان الآثار الادبية مِجْهَر للباحث في تاريخ الادب الانساني لاستكشاف الاسرار الغامضة ، واذا كان العمل الادبي ينطوي على هذا الجانب الكبير من الاهمية ، فلماذا لا نعتبره معبراً عن حياة صاحبه بكل ما يكتنفها من خير وشر ؟

واما الاستدلال على طهارة وَلاّدة بقول ابن زيدون السابق ، فانه يحتمل ان الشاعر تعمد ان يهوّل الامر على منافسه ابن عبدوس حتّى لا يعود يأمل في حبها وخاصة وان البيتين من قصيدة طويلة نظمها الشاعر في ابن عبدوس يستهلها بقوله :

أثَرْتُ هِزَبْراً لِشَرّي إذْ رَبَض   وَنَبّهْتُه إذْ هَدَا فَاغْتَمَضْ

وشاعرتنا الاميرة وَلاّدة ، ان عرضنا حياتها من خلال شعرها الاباحي ، وما قاله فيها مؤرخو الادب على ضوء ما تطورت اليه العلوم الجنسية توصلنا الى ما يلي :

أ ــ يلوح من حياة العناس التي عاشتها وَلاّدة انها كانت مصابة بالجنسية المثلية وهي ميل المرأة الى جنسها ، والرجل الى جنسه ، وليس يوضح هذا الامر غير ما قاله عنها ابن سعيد عندما يقرر تعلقها « بِمُهْجَة » في قوله : « ... فعلقت بها مهجة ولزمت تأديبها »(1) .

وكذلك المقرّي لم يختلف عما قاله ابن سعيد ، و « غرسيا غومس » لا يخرج عن هذه التهمة عندما يقول فيها : « ولكنها كانت امرأة رجلة » « **Virago** »(2) .

وهذا النوع من الحب والتعلق له في التاريخ شهرة ، ويحكى ان شاعرة اغريقية تسمى (سافو) وقعت في غرام احدى تلميذاتها ، غير ان التلميذة لم تستجب لنداء هذا الحب ، كما انها تعلقت بصديقة لها تسمى (فاون) ولكن الشاعرة اخيراً عصف بها اليأس القاتل فألقت نفسها في اليم .

اولئك النسوة اللائي عرفن بهذا الشذوذ اطلق عليهن الاغارقة (تريباديس) Tribades المشتق من كلمة Tribein ومعناها (يحك جسمه بجسم شخص آخـــر)(1) .

ب – وفي ميسورنا ان نعلل بعض تصرفاتها بمرض السادية الذي هو حب الانسان تعذيب الجنس الآخر وتحميله الالم ، واصل هذا الداء أن المرأة عندما تحس بنقص بعض اعضائها التي يتمتع بها الطفل تشعر بغيرة وحسد تسمى حسد (الذكورة) ، وعند ذاك يبدأ الحقد يتأصل في داخلها على الرجال ويترعرع في أعماق نفسها الى ان يصبح سادية ، وحسبك أن تعلم ان شاعرتنا ولادة فقدت عرش آبائها ، فكان طبيعياً ان تحقد على الرجال وخصوصاً الذين مكنت لهم الظروف تحطيم عرش بني أمية ، وكان ابن زيدون ممن انحازوا الى جانب ابي الحزم بن جَهْوَر املاً في الحصول على منصب عظيم ، ولكنه ما عتم ان اصبح منضماً الى المتآمرين لاعادة الحكم الامـــوي .

ثم ان بعض الدارسين من علماء الجنس علل مرض السادية بأثر وراثي نتيجة فساد النطفة الناجم عن تعاطي الخمر ، والمطلع على التاريخ يعرف ان اباها محمد بن عبد الرحمن اشتهر بالادمان على شرب الخمر ، وانه لم ينجب غيرها ، فليس غريباً اذا افسدت الخمرة الحيوية الجنسية وأحدثت ضرراً في الجنين ظهرت آثاره بعد ذلك في نفسيتها .

والمرض السادي يتخذ صوراً واشكالاً ، منها ان المرأة تستعمل جمالها لاخضاع الجنس الرجولي لتشبع لذتها ، ومنها حب التلويث كتلويث الملابس

والشخص ذاته(1) ، وانت اذا استنطقت التاريخ حدثك عما فعلته الاميرة الأموية مع ابن عبدوس من العبث والسخرية بشخصيته ، وذلك عند مرورها بدار ابن عبدوس وهو جالس مع ثلة من أصدقائه وامامه بركة من الاقذار فقالت له :

أنْتَ الخَصِيبُ وهذه مِصْرُ فتَدَفقّا فكِلاكُما بَحْرُ(2)

وكذلك فعلت مع ابن زيدون وصديقتها « مهجة » و « الأصبحي » الذي مزقت عرضه وعرض ابنه كل ممزق .

هذا ما يمكن ان يقال في تعليل سلوك وَلادّة وشخصيتها المنحرفة ، وكان من اليسير جداً ان نخضع شخصيتها لكثير من التفسيرات العلمية الحديثة ، بيد أننا آثرنا الا نغرق في هذه التعليلات التي قد تزيد الامر تعقيداً او بعداً عن استكشاف الحقيقة ، ولست ازعم ان هذه الآراء العلمية تنطبق على شخصيتها كل الانطباق ، وانما هي تلقي بعض الاضواء على تصرفاتها ليس الا ، وللباحثين مجال خصب للبحث عن سر سلوكها الشاذ .

شاعريتها

غزلها يفيض بالعاطفة في لحظة الانشراح مع جنوح الى المبالغة ، حتى انها عندما تريد ان تعبرّ عن شوقها الى الحبيب، تزعم ان ما في صدرها من الهيجان واللهفة المحرقة تعجز عن حمله الشمس والبدر ، وأن حبها يُذْهِب عن معاقد جفنها النوم فيجعلها تبيت تتقلب في فراشها ساهرة ، فاستمع اليها تدير هذا في قولها :

وَبِي مِنْكَ ما لو كانَ بالشمسِ لم تَلُحْ وبالبَدْرِ لم يَطْلُع بالنّجْم لم يَسْرِ

وقد كنتُ اوقاتَ التزَاوُرِ في الشتّا أبيتُ على جَمْرمن الشّوقِ مُحْرِق

اما شعرها الهجائي فهو عبارة عن فحش وقذارة تشبه في ذلك دِعْبِل الخُزَاعي (148 – 246 ﻫ) في بعض قصائده الهجائية المقذعة الجارحة ، وقد تعفف ابن بسام من رواية ابياتها ، في حين أن المقري لم يتورع عن ذكرها.

فشعرها عموماً يتسم بالرصانة مع السلاسة ومتانة في التركيب ، وقوة في التعبير على غير وُعُورَة وخشونة .

وبجانب كل ذلك فإن ما وصلنا من انتاجها الشعري – على قلته – ينم عن ثقافة متينة ، واستظهار وتذوّق الادب العربي القديم . تلك هي شاعرية وَلاّدة .

اما علاقتها بابن زيدون فالحديث عنها يتشقق ويطول ، اتصل بها الشاعر في قصرها اثناء اقامتها للمجالس الادبية ، احبها فلم تستعص عليه ، ولذلك فإن الآثار الزيدونية تمخضت عن عوامل عدة من بينها هيامه بوَلاّدة التي اوحت له بقصائد ساحرة صاغ وتدها المفروق ووتدها المجموع ، وسببها الخفيف ، وسببها الثقيل من شرايين نفسه وأوتار فؤاده ، فكان ذلك نعمة وايّ نعمة على الادب العربي .

وكيفما كان الحال فقصتها معه اشهر من نار على علم ، اذ اصبحت حديث كل الناس اوانئذٍ وخاصة بعد ان سطر الشاعر حوادثها في عطـائه الشعري .

ويروى ان وَلاّدة بعثت اليه تعلمه بزيارته له شريطة ان تكون الزيارة تحت جنح الليل ، اذ الليل أكتم للسر واصون للمحبين :

تَرَقّبْ اذا جَنّ الظلامُ زيارتي فاني رأيتُ الليلَ أكْتَمَ للسّرِّ
وَبي منكَ ما لو كانَ بالشمسِ لم تَلُحْ وبالبَدْرِ لم يَطْلُعْ وبالنّجْمِ لم يَسْرِ

ووفت وَلاّدة بعهدها ولما ارادت الانصراف قالت هذه الابيات تودعه بها . كما في رواية المقّري :

وَدّعَ الصّبْرَ محبٌ وَدّعَكْ ... ذائِعٌ من سِرّه ما استَوْدَعَكْ
يَقرعُ السنّ على أنْ لَمْ يَكُنْ ... زَادَ في تلك الخُطَا إذْ شيّعَكْ
يا أخا البَدْرِ سَنَاءً وسَنَا ... حَفِظَ اللهُ زماناً أطْلَعَكْ
إنْ يَطُل بَعْدَكَ لَيْلي فلَكَمْ ... بِتّ أشكو قِصَرَ الليْل مَعَكْ

هذه الابيات الرائعة نسبها صاحب قلائد العقيان(1) وصاحب الذخيرة(2) لابن زيدون غير ان المقّري(3) نسبها لولاّدة ، ونحن نرجح نسبتها لابن زيدون ، ذلك لان ابن خاقان وابن بسام اقرب عهداً بالشاعر من المقّرى ، وديوانه نفسه ثبتها له سواء في طبعته الأولى(4) أو الثانية(5) ، كما اثبتها ابن خلكان(6) عند حديثه عن حياته ومصدره في ذلك ابن بسام .

وجرى لولاّدة مع صاحبها خصام أجّجتْه النخوة والاباء ، وذلك ان عتبة جاريتها كانت قد غنتها :

أحِبّتَنَا إني بَلَغْتُ مُؤمّلي ... وسَاعَدَني دَهْري وَواصَلني حُبّي
وجاءَ يُهَنّيني البَشيرُ بِقُرْبه ... فأعْطَيْتُه نفسي وزِدْتُ له قَلْبي

فسألها ابن زيدون الاعادة من غير ان يستأذن صاحبته ، فغضبت وَلاّدة لذلك اشد الغضب ، وكيف لا وهي المعجبة بنفسها وجمالها ، الامر الذي أدى بها الى ان تكتب على عاتِقَيْ ثوبها الايمن والايسر البيتين السالفي الذكر(7) ولذلك قالت محتدة منبّهة اياه بأنه قد جار عليها فلم ينصف في الحب ولم يعرف كيف يختار اذ ترك غصناً مثمراً ناضجاً داني القطوف ، واصطفى غصناً ذاوياً ، ولكن لتعاستها وسوء طالعها فوجئت بمنافس لا يرقي الى مستواها ، وها هي تترجم لنا كل هذا في قولها محتجة صائحة في غضب :

لَوْ كنتَ تُنْصِف في المودة بيننا ... لم تَهْوَ جاريتي ولم تَتَخَيّرِ
وَتَرَكْتَ غُصْناً مثمراً بِجَمَالِه ... وَجَنَحْتَ لِلْغُصْنِ الذي لم يُثْمِرِ
ولقد عَلمتَ بأنني بدرُ السما ... لكن دهيتَ لِشَقْوَتي بالمُشْتَرِي

وابن زيدون رغم هذا التصرف الذي صدر عنه مما دفع صاحبته الى أن تسلوه انتقاماً لكرامتها ، فانه ظل يحن اليها حنيناً جارفاً ، ويصبو الى لقائها بكل جوارحه ، فيترجم كل ذلك الى شعره حتى تضوعت رائحة هـذا الحب ، وتلمست كل أنف فقال معتذراً :

وَاللهِ ما ساءَني أني خَفِيْتُ ضَنىً   بل سَاءَني أن سِرّي بالضّنى عَلَنُ
لوكانَ أمري في كَتْمِ الهَوَى بِيَدي   ما كان يَعْلَمُ ما في قَلْبِيَ البَدَنُ

ويقول بعد ما غدا حبهما على طرف كل لسان :

يا مَنْ غَدوتُ به في الناسِ مُشْتَهِرا   قَلبي عَلَيْكَ يُقَاسي الهَمّ والفِكَرا

وقد يبدو من العوامل التي عكرت صفو الجو بينهما ان ابن زيدون انتقد شعرها ؛ وذلك عندما أرسلت له أبياتها التي أودعتها حنينها وصبابتها بعد ان أحست بالوحشة ، وافتقرت الى مؤنس يسري عنها وساوسها ومخاوفها :

ألاَ هَلْ لَنَا مِنْ بَعْدِ هذا التّفَرّق   سبيلٌ فَيَشكو كُلّ حِبّ بِما لَقِي
وقد كُنتُ اوقاتَ التزاورِ في الشّتَا   أبيتُ عَلى جَمْرٍ من الشوق مُحْرِقِ
فكيفَ وقد أمسيتُ في حالِ قَطْعِهِ   لَقَد عَجّلَ المَقدورُ ما كنت أتّقي
تَمُرُّ الليالي لا أرى البينَ يَنْقَضي   ولا الصّبْر من رِقّ التّشَوّق مُعْتِقِي
سَقَي اللهُ أرضاً قَدْ غَدَتْ لكَ مَنزلا   بكلِ سَكُوبٍ هَاطِلِ الوَبْلِ مُغْدِقِ

فأجابها :

لَحَا اللهُ يوماً لَسْتُ فيه بِمُلْتَقٍ   مُحَيّاك من أجل النّوى والتّفَرّق
وكيفَ يطيبُ العيشُ دونَ مسَرّةٍ   وأيّ سرورٍ للكئيبِ المُوَرّقِ

وبعد ذلك أخذ ينتقد شعرها فعاب عليها صدر البيت الاخير فقال : « وإني انتقدت عليك قولك . سقي الله أرضاً قد غدت لك منزلا ، فإن ذا الرّمّة انتُقد عليه قوله مع تقديم الدّعاء بالسلامة :

ألا يا سلمى يادَارميَّ على البِلَى ولازالَ مُنْهَلاً بِجرْعائك القَطْر

اذ هو أشبه بالدعاءِ على المحبوب من الدعاء له ، واما المستحسن فقول آخـــر :

فَسَقَى ديارَكِ غير مُفْسِدِها صوبُ الرّبيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي »(1)

واعتقد ان هذا الانتقاد لم يكن السبب الجوهري في القطيعة التي حدثت بينهما كما عند شوقي ضيف(2) الذي ذهب الى القول بأن ابن زيدون لم يكن لبقاً في ايراد هذا النقد على اذن معشوقته ، وآية ذلك ان هذا النوع من الانتقاد لم يكن ليؤدي مثل هذا التوتر في العلاقات بين ابن زيدون وَوَلاّدة ، وفصم الروابط بسهولة ويسر ، وهي بدورها طلبت منه ان يدلي برأيه في شعرها باعتراف ابن زيدون ونصه حسب ما اورده المقّري « وكنت ربما حثثتني على ان أنبهك على ما أجد فيه عليك نقداً »(3) .

ونحن نعرف جيداً ان شاعرتنا ناقدة متبصرة عالجت النقد ، وكانت لها صولات وجولات في ميدانه جعلتها من غير شك تتقبل النقد ، ولا ترى فيه عيباً او خدشاً لمحصولها العلمي ورصيدها الثقافي ، ولو كان ذلك ممـــا يغضبها او يسيء إليها لما فتحت أبواب منزلها لعشاق الثقافة ورواد العلم ، تتطارح معهم الموضوعات في عديد من الفنون ، وهي نفسها – كما يحكى – طلبت من ابن زيدون ان ينظم قصيدة في ابن القَلاّس فقال :

أصِخْ لمقـــالتي واسْمع وَخُذْ في ما تَرَى أو دَعْ

وعندما وصل الى قوله :

فَإنّ قُصَارَكَ الدّهْلِيـ زُ حين سواك في المَضْجَع

استدركت عليه وَلاّدة وقد أجادت ايما اجادة وهي البارعة في الهجاء .

– قل يا بن زيدون :

فان قُصَارَكَ الاصْطَبْـ لُ حين سواك في المَضْجَع

وايآً ما كانت الحال فمن المستبعد ان يكون الانتقاد السالف الذكر سبباً مباشراً للفرقة بينهما ، وانما هنالك اسباب معقولة منطقية اضرمت نـــار الخصومة بينهما ، ودفعت ولاّدة على الخصوص الى ان تهجره وتسلوه ، وتتركه ملتاع الفؤاد تتحسر نفسه لوعة واسى .

و في ما يلي هذه الاسباب مستمدة من حياته وشعره، ولست اذكر انها وحدها التي تحالفت على خلق جو مكهرب احال سعادتهما شرراً متطايراً ، فقد تكون هنالك أسباب اخرى غير هذه ، سبق ان ألمعنا الى بعض منها .

أ ـ اهتمامه بجارية ولاّدة عتبة عندما طلب منها ان تعيد ما غنت ، في تلك اللحظة تسربت الغيرة الى قلبها ، وطفت على وجهها سحابة من الغضب ، وها هو يحكي ذلك بنفسه فيقول :

« فسألتها الاعادة بغير امر ولاّدة فخبا منها برق التبسم ، وبدا عارض التجهم »(1) .

فكان ذلك بداية لما سيحدث من جفوة ، وإرهاصاً لما سيشوب حياتها من كدر وحزن .

ب ـ تشهيره بها ، واعلانه غير ما مرة اتصاله بها اتصالاً غير مشروع يقول في ما يقول :

أكُلُّ شَهِيٍّ أصَبْنا من أطَايِبِه بَعضا وبَعْضاً صَفَحْنا عَنْه للفَارِ

ويقول في رسالته الهزلية(2) الموجهة لابن عبدوس على لسانها : « وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة ، والنفس المصروفة إليّ ، واللذة الموموقة عليّ وبين آخر نصب غديره ونزحت بيره ، وذهب نشاطه »(3) .

وفي هذا كما يبدو اهانة كبرى لا ترضى بها أية امرأة كيف ما كانت أخلاقها من التفسخ والانحلال .

جـ - الوشاية التي سعى بها أعداؤه الذين ارادوا هدم سعادته ، وهذا ليس بدعاً فتاريخ الحب حافل بالسعايات والدسائس التي كان يحوكها في الظلام المدلسون ، ولنستمع اليه يفصح عن ذلك افصاحاً يقطر بوحاً شجياً واسى ممضاً عندما يقول :

لما اتّصَلْتِ اتصالَ الحلب بالكَبِدِ ثم امتزجت امتزاجَ الروح بالجَسَدِ
ساء الوُشَاةُ مكاني فيك واتّقَدَتْ في صَدْرِ كل عَدُوّ جَمْرَةُ الحَسَدِ

ويقول من قطعة جميلة له :

أشْمَتّ بي فيك العِدَا وبَلَغتِ من ظُلْمي المَدَى

ويقول في النونية المشهورة :

غِيظَ العدا من تَسَاقِينا الهوى فَدَعَوْا
بأنْ نَغَصّ فقال الدهر آمينا

ويقول في نفس النونية :

يا ليتَ شِعْري ولم نُعتِبْ أعاديَكم
هل نال حظا من العُتْبَى أعادينا

ويقول مبيّناً انه كان يأمل في استمرار الوصال وديمومة الاتصال ، ولكن الوشاة حالوا دون تحقيق ذلك .

ولي املٌ لوِ الوشاةُ كفوا لاطلع غرسُه ثمرَ النجاح

هكذا يظل ابن زيدون - في اغلب الاحيان - كلما نظم قصيدة او قطعة في صاحبته ولادة الا وذكر العدا او الوشاة أو ذا حسد او الكاشح ، وتشكى من سموم المتقولين وضج من أكاذيبهم ، ولا سيما والظروف المحيطة كانت تدعو الى الايقاع به - وفعلاً أدخل السجن - كما كان لولادة

جم غفير من الطامعين يبغون التقرب اليها وخطب ودها ينفسون عليه مكانته لديهـــا .

اما موقف شاعرتنا وَلاّدة من ابن زيدون في تشهيره بها والتعرض لها فكان عنيفاً كالعاصفة العاتية ، قوياً كالاعصار المُبيْد، اذ تصدت له تكيل له الشتائم وتقذفه بما يشرخ الاذان ، ويتعفف المرء من روايته :

وَلُقّبْت المُسَدّسَ وهو نَعْتٌ   تُفَارِقُكَ الحيــاةُ ولا يُفَارِق
فَلُوطيّ ومأبونٌ وَزَانٍ   ودُيّوثٌ وَقَرْنَـــانٌ وَسَارِق

وقالت فيه :

إنّ ابنَ زَيْدون عــلى فَضْله   يَعْشق .... (1)
لَوْ أبْصَرَتْ ...على نَخْلَةٍ   صَارَ مِنَ الطّيرِ الأبَابيلْ

وقالت ايضاً :

ان ابن زيــدون على فَضْله   يَغْتَابني ظُلماً ولا ذَنْب لي
يَلْحَظني شَزَراً اذا جِئْتُــه   كأنني جِئْتُ ....(2)

ووَلاّدة لم تهج ابن زيدون فقط ، بل هجت كذلك الاصبحي هجاء مراً وذلك في قولها له :

يا أصبحيّ اهْنَــأ فكم نِعْمَةٍ   جَاءَتكَ من ذِي العَرْش رَبّ المِنَن
....................(3)

ذلك هو حديثنا عن شاعرتنا الطروب الأميرة الحسناء وَلاّدة التي صاحبناها في حياتها وعملها الشعري ، وان طالت وقفتنا معها فلأن شخصيتها تطغى على جميع الشواعر الاندلسيات الاخريات لما اشتهرت به من ثقافة رحبة وشاعرية شفافة ، جعلتها من الشهيرات في حلبة الأدب ، ولما اتسمت

به من دعابة وعبث حتى سنت للنساء سنة الانكشاف والاستهتار ، فعاشت حياة مفعمة بالملذات ، حافلة بالمسرات ، عبقة بالظرف ، لا تريد ان تحيا في عزلة عن المجتمع القرطبي الصاخب خصوصاً ، والمجتمع الاندلسي العابث عموماً وتأبى الزواج ؛ لانه يشغلها عن مرحها ولهوها ، ويقيد حريتها الشخصية ولا سيما وهي تحمل في حنايا صدرها هَمّاً ثقيلاً لاندثار مجد الاجداد لا يخفف من حدته غير الانهماك في المرح ، والاكباب على ملاهي الحياة ، الى ان توفيت سنة (480 او سنة 484 هـ) بعد ان عمرت فتجاوزت الثمانين ، وقد ظل محبها ابن عبدوس خلال هذه الاعوام الطويلة — وكان قد عمر هو كذلك — وفياً لها يعينها ويحمل عنها إصر الحياة ، وكان بطل القصة ابن زيدون قد استأثرت به رحمة الله بسنوات لان وفاته وقعت سنة (463 هـ) .

---

9 – مهجة بنت التياني القرطبية(1)

كان أبوها يبيع التين فنسب اليه – كما يبدو – على غير قياس ، شاعرة جميلة الخلقة عذبة الحديث ، ناعمة الروح ، تهافتت على الملذات تعب من كؤوسها حتى الثمالة ، واندفعت الى الشهوة تحركها رغبة الى التبذل ، حفزها إلى ذلك غرورها بجمالها ، وتأدبها على صاحبتها وَلاّدة التي تولت تعليمها ، ورعت استعدادها المجوني والادبي الى ان صارت شاعرة مهيبة الجانب في عالم الشعر ، ورغم تلك الصداقة التي ربطت بين قلبيهما ، وما استنفذته وَلاّدة من مجهودات شاقة في سبيل تثقيفها ، فان مهجة ما لبثت ان استيقظ في رحاب نفسها حب الهجاء الذي تشربت مبادئه من مَعِينْها ، فقذفت صاحبتها واستاذتها الحميمة بقولها :

ولاّدةُ قَدْ صِرْتِ وَلاّدةً   من غير بَعْلٍ فُضِـحَ الكَاتِمُ
حَكَتْ لَنَـا مَرْيَمَ لكنّهُ   نخلة هذي ....(2)

والبيتان على الرغم مما فيهما من الفحش فانهما ينمان عن قدرة خارقة تتمتع بها مهجة في الفن الهجائي ، مع ملكة حادة في فن السخر تشبه الى حد بعيد موهبة ابن الرومي العجيبة في الرسوم السّاخرة المعروف بها في الادب العربي ، لذلك فان بعض النقاد – وقد سماهم المقرى الاكابر(3) – عندما سمعوا البيتين اوْقَرَوهُما (لو سمع ابن الرومي هذا لاقر لها بالتقديم) .

وعلى نفس النمط في الهجاء السخري تقول وقد اهدى لها يوماً حبيب خوخـاً :

يا مُتْحِفاً بالخـوخ أحْبَابَه   أهلاً به من مُثْلجٍ للصّدور
حَكَى ثديّ الغِيْـدِ تَفْليكُهُ   لكنـه ....(4)

ومن شعرها وقد ابدعت ايما ابداع حتّى قال عنه ابن سعيد في (المغرب) إنه « تقدمت به فحول الذّكران »(1) .

لَئِنْ قَدْ حَمَى عن ثَغْرِها كُل حَائِمٍ
فما زالَ يَحْمِي عن مَطالبه الثّغْرُ

فذلك تحميه القَوَاضِبُ والقَنَا
وهذا حماه من لواحظها السّحْرُ

---

10 – نزهون بنت القلاعي الغرناطية(1)

هذه شاعرة مرحة ، حلوة الحديث مطيّبّة المُحاضرة ، ذات طبع ندى معطاء ، ونفس شفافة مضواع ، عرفت بسرعة الجوّاب وحضور البديهة ، واستظهار النوادر ، وضرب الامثال مع جمال في الصورة ، تسعى الى مجالس الوزراء فتَعْبِق جوّها وتثير فيه نشوة مسكرة عاشت في القرن الخامس الهجري .

وروي انها كانت تقرأ يوماً على ابي بكر المخزومي الاعمى فدخل عليهما ابو بكر الكتندي فقال مخاطباً الشاعر المخزومي :

– لو كُنْتَ تُبْصِر مَنْ تُجَالِسُهُ

وصمت المخزومي برهة يفكر ، ولكنه لم يحر جواباً ، وبسرعة فائقة اجابت نزهون :

– لَغَدَوْتَ أخْرَسَ من خَلاخِلِهِ

البدرُ يَطْلُعُ من أزِرّتِهِ والغُصْنُ يَمْرَح في غَلائِلِهِ

ولرقة طبع هذه الشاعرة وخفة ظلها كَلِفَ اصدقاؤها وعارفوها بمحادثتها ومراسلتها فكان ابو بكر بن سعيد الوزير من الذين شغفوا بها وقد كتب لها يوماً يقول :

يَا مَنْ لَهُ ألْفُ خِلّ مِنْ عَاشِقٍ وصَدِيقِ
اراكَ خَلّيت لِلنّـــا سِ مَنْزلاً في الطريقِ

فأجابته مذكرة اياه ان مكانته لا تعلوها مكانة ، لانه مقدم لديها على الآخرين :

حَلَلْتَ ابا بكر محـلا مَنَعْتُهُ سِوَاكَ ، وهَلْ غَيْرُ الحَبيبِ لَهُ صَدْرُ
وإنْ كانَ لي كَمْ مِنْ حبيب فإنّما يُقَدَّمُ أهلُ الحَقّ حبّ ابي بَكْرِ

وفي أحد مجالس ابي بكر بن سعيد الوزير التي كان يعقدها فتدار فيها مناقشات ادبية وعلمية تصدى الشاعر أبو بكر المخزومي الهجاء الذي قيل فيه « انه اذا مدح ضعف شعره » (1) لشاعرتنا نزهون فأشبعها قذفاً من غير ما تحفظ والوزير ينصت الى ذلك ، ومما قاله فيها شعراً :

على وَجْهِ نَزْهونَ من الحُسْن مِسْحَةٌ
وان كان قد أمْسى من الضَّوْء عَارِيا
قَوَاصِدُ نَزْهون تَوارِكُ غَيْرِهـا
ومَنْ قَصَدَ البحرَ استَقَلّ السواقيا(2)

ولكن نزهون ما كانت لترضي بالهوان والخنوع فأنشأت تقول رداً عليه وثأراً لكرامتها الجريحة المهانة :

قلْ للوضيعِ مقالاً يُتْلى الى حَيْنَ يُحْشَرْ
مِنَ المُدَوَّرِ أُنْشِئتَ والخَرَا مِنْهُ أعْطَرْ
حيثُ البداوةُ أمسَتْ في مَشْيِها تتبختَرْ
لذاك امسيتَ صَبّاً بكل شيءٍ مُدَوَّرْ
خُلِقْتَ أعْمَى ولكن تَهِيمُ في كُلّ أعْوَرْ
جَازَيْتُ شِعْراً بِشِعْر فقل لعمري من أشعرْ
إنْ كنتُ في الخَلْق أنثى فإنّ شِعْرِي مُذَكّرْ

بيد ان المخزومي ليس بالشاعر الين العريكة حتى يستسلم لها ويعلن في مجلس الوزير هزيمته وفشله ، ولذلك رد عليها بقوله ممزقاً عرضها :

ألا قُلْ لِنَزْهونَةَ مَالَها تَجُرُّ من التِّيْهِ أذيالَها
ولو ابصرت (1) شَمَّرت –كما عودتني– سِرْبَالَها

ولما رأى الوزير ان الامر سوف يتفاقم ويزداد حدة أقسم ان يكُفَّا عن السباب والقدح .

وتقول نزهون رداً على هجاء له فيها :

إن كان ما قلتُ حَقّا من بعض عَهْد كريمِ
فصارَ ذِكْري ذَميما يُعْزَى الى كل لُوْمِ
وَصِرْتُ أقبحَ شيء في صورة المَخْزُومي

وسألها بعض ثقلاء الظل .

– ما على من أكل معك خمسمائة سوط .

فقالت :

وذي شِقْوةً لمّا رآني رأى له تمنيه يصلى معي جَاحِمَ الضّرْب
فقلت له كُلْها هنيئاً فإنما خلقتُ الى لبس المطارف والشّرْب

ونزهون لم تترك الفرصة تمر دون ان تسجل لنا لقاء جميلاً – عطرته تصغير صيغة التعجب – في ليلة من ليالي الاحد مع حبيبها بعيدين عن اعين الرقباء حيث الجو الناعم والحظة المجنحة والاحساس المدغدغ ، وها هي تسمعنا قولها :

لِلّهِ درّ الليالي ما أُحَيْسَنَها وما أُحَيْسنَ منها ليلةَ الأحدِ
لوكنتَ حَاضِرَنا فيها وقد غَفَلَتْ عَيْنُ الرقيب فلم تَنْظر الى أحَدِ
أبْصَرتَ شمس ضُحىً في ساعديْ قَمَرٍ بَلْ رِيْمَ خَازِمة في ساعديْ أسدِ

وخطب رجل شاعرتنا وكان ذميم الصورة بشعاً فقالت تنسفه في آماله وأحلامه وتعدد معايبه :

عذيري من عَاشِق أنوكٍ سَفيهِ الاشارةِ والمَنْزَعِ
يروم الوِصَالَ بما لو أتَى يرومُ به الصّفْعَ لم يُصْفَعِ
بِرَأسٍ فقيرٍ الى كَيّةٍ وَوَجْهٍ فَقِيرٍ الى بُرْقُعِ

ومن نوادر نزهون التي احتفظ لنا بها التاريخ ان ابن قزمان الشاعر الزّجّال جاء ليناظرها وكان يرتدي غفارة صفراء — وهي زي الفقهاء يومئذ — وعندما لمحته قالت له بصوت تتخلله نغمة من الدعابة والظرف :

— انك اليوم كبقرة بني اسرائيل صفراء فاقع لونها ، ولكنك لا تسر الناظرين .

فضحك الجميع ممن حضر وثار ابن قزمان واستشاط غضباً ، فأخذ يسب واندفع الحاضرون اليه وطرحوه في بركة أمام البستان .

---

٤٤ – ام العلا بنت يوسف الحجارية(1)

شاعرة عاشت في القرن الخامس الهجري تعرف بالحجارية نسبة الى بلدها وادي الحِجَارة ، وهي من الشواعر اللواتي يفخر بهن بلدهن ، من شعرها قولها متحدثة عن الحبيب الذي به يمسي الزمن جميلاً رقيقاً ، وبدونه لا يكون للحياة طعم :

كلّ ما يَصْدُرُ عَنكم حَسَنٌ ... وبعلياكم تَحَلّى الزمـنُ
تَعْطِفُ العَيْنَ على مَنْظَرِكم ... وبِذِكراكُم تَلَذّ الأذنُ
مَنْ يَعِشْ دُونَكُمْ في عُمْرِهِ ... فهو في نَيْلِ الأماني يُغْبَنُ

وهام بها رجل مسن فطلب يدها ، وعند ذاك كتبت اليه تقول :

الشّيب لا يَخْدَع فيه الصّبا ... بِحيلة فاسمع الى يُضحي
فلا تَكُن أجْهَلَ مَنْ في الوَرَى ... يَبيتُ في الجَهْلِ كما يُضْحِي

وقالت معتذرة :

إفْهَمْ مَطَارِح اقوالي وماحَكَمَتْ ... به الشواهدُ واعذرني ولا تَلُمِ
ولا تَكِلْنِي الى عُذْرٍ أبَيِّنُهُ ... شَرّ المَعَاذِير ما يَحْتاج لِلكَلِمِ
وكل ما خِلْتَهُ من زَلّة فبما ... أصْبَحت في ثِقة من ذلك الكَرَمِ

وها هي تنظر الى بستانها فتهتز لمنظره فتقول معجبة واصفة له :

لِلّه بُسْتاني اذا ... يَهْفو به القَصَبُ المُنَدّى
فَكأنّما كف الرّيا ... ح قد اسندت بَنْداً فَبَنْدا

وتقول :

لولا مُنَافَرةُ المُدَا ... مَة للصّبَابة والغنَا
لَعَكَفْتُ بين كؤوسِها ... وَجَمَعْت أسبابَ المُنَى

12 – غاية المنى(1)

جارية اندلسية ظريفة ذات ثقافة لا غبار عليها جيء بها الى المعتصم بن صُمَادِح فود امتحانها ليعرف مستواها الادبي فقال لها :

– ما اسمك ؟

قالت :

– غاية المنى

فقال لها :

– اجيزي :

اسألوا غـــاية المنى من كسا جسمي الضنى

فأجازت :

واراني مولّهـــا سيقول الهـــوى انا

والحكاية تروى رواية اخرى غير هذه التي مرت بنا آنفاً نقلها المَقّري عن ابن الأبّار وهي ان « غاية المنى » سيقت لابن صُمَادح فأمر ان يختبر ذكاءها ابن الفراء الخطيب ولما جلست بين يديه قال لها :

– ما اسمك ؟

فقالت :

– غاية المنى

فقـــال :

— اجيزي :

سَلْ هَوَى غَايَة المُنى من كَسَا جِسْمي الضّنى

فقالت على الفور :

وأراني مُتَيّما سيقول الهوى أنـــا

---

13 – ام الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية(1)

بنت ملك تدعى أم الكرام بالالف او بدونها وكلاهما معناه صحيح ، أديبة شاعرة عمل أبوها على تثقيفها لمّا رأى فيها مخايل الذكاء والفطنة، ولها يد طولى في فن الموشحات ، كلفت بشاب جميل من « دانية » يعرف بالسّمار قالت والهة صائحة مبينة ما يفعله الحب بالناس ، وانه لا يعرف الفوارق ولو كان يعرفها ما أحبت هذا الفتى وهي اميرة ارستقراطية ، وحبيبها الذي تهواه أصبح حبه في أعماقها متمكناً حتى انه لو فارقها تصدع فؤادها وغادر أحناءه باحثاً في لهفة عن مؤنسه :

يا مَعْشَرَ الناسِ ألاَ فَاعجبوا   مِمّا جَنَتْهُ لـوعةُ الحُبِّ
لولاه لم يُنْزَل ببـدرِ الدجى   من أفقـه العلوي للتُّرْبِ
حسبي بمن أهـواه لو أنـه   فارقني تَابَعَـه قَلْبي

وها هي تتحدث عن الحبيب وتتمنى لو وجدت لحظة تخلو به بعيدة عن أعين الرقباء ، وهي تتعجب كيف تشتاق اليه وتتحرق إليه توقاً للقائه ، وحبه راقد في أعماقها وأحشائها :

الا ليتَ شِعْري هل سبيلٌ لِخَلْوَةٍ   يُنَزَّهُ عنها سمعُ كُلِّ مُرَاقِبِ
ويا عَجَبَا أشتاقُ خلوةَ من غدَا   ومثواهُ ما بين الحَشَا والتّرائب

هذا الحبيب الذي حدثتنا عنه شاعرتنا قال عنه ابن سعيد في (المغرب) « وبلغ المعتصم خبره ، فخفي أمره من ذلك الحين » .

وقول ابن سعيد عن حبيبها يحتمل أمرين : إما ان الحبيب قتله المعتصم – عندما علم بعلاقته بابنته – بوسيلة أو اخرى ، وإما أنه خاف على نفسه فاختفى حالما تأكيد من أن اباها الملك قد اطلع على قصتهما .

14 – العبادية جارية المعتضد (1)

شاعرة ظريفة ، كاتبة اديبة ، تحفظ رصيداً من اللغة لا بأس به اهداها للمعتضد والد المعتمد مُجاهد العامري ، كان يميل اليها شديد الميل حتى ملكت عليه شعوره وحسه ، وقد ارق المعتضد ليلة وحاول ان ينام ولكن بدون جدوى فقال :

تَنَامُ ومُدْنَفُها يَسْهَرُ ... وتَصْبُرُ عنه ولا يَصْبِرُ

فاجابته على البديهة .

لئن دام هذا وهــذا له ... سَيَهْلِكُ وَجْدا ولا يَشْعُرُ

15 – اعتماد الرميكية جارية المعتمد(1)

ان الصدفة قد تلعب في حياة الشخص دوراً مهماً ، فترفعه من السفح الى القمة في برهة زمنية قصيرة هي في حساب الدهر ليست بذات اهمية، غير انها في حساب الانسان نبضات تمده بأسباب الحياة فتفرش له دربه زهوراً وياسميناً ، كما فرشته لشاعرتنا اعتماد بسبب سحر اللفظ ، وروعة الحرف ، وكيف يا ترى استطاعت الكلمة ان تنقلها نقلة سريعة من الحياة العادية الى الحياة البلاطية حيث النفوذ والسلطة ؟ وذلك هو ما سأعرفك به وشيكاً .

ركب المعتمد هو وصديقه ابن عمار يوماً زورقاً للنزهة في نهر اشبيلية ، واذا هما ينعمان بجو رائق لطيف إذْ هَبَّ نسيم معذوب على النهر فأحدث على صفحة المياه حبكاً وتموجات دغدغت مشاعر الملك الشاعر ، فنظر الى النهر وأطال التأمل فقال مخاطباً صديقه ابن عمار في انشراح .

اجز يا ابن عمار :

صَنَعَ الرّيح من الماء زَرَدْ

غير ان ابن عمار الشاعر ارتج عليه فأخذ يعبث بلحيته عادةَ من يريد ان يستوحي او يتذكر شيئاً ورانت فترة صمت ليست بالطويلة حاول أثناءها ابن عمار ان يمتح ذاكرته بدون جدوى ، واذا بصوت ينبعث من جانب النهر يهتف بعذوبة وحلاوة :

أيّ دِرْعٍ لِقِتَالٍ لو جَمَدْ

وعندما سمع المعتمد ذلك لَمْ يملك نفسه من شدة الاعجاب والدهشة ،

وسرعان ما خف الى صاحبة الصوت فتبينه فإذا بصاحبته فتاة جميلة من الفتيات الغسالات اسمها اعتماد الرميكية .

واخيراً اشتراها من مولاها رُمَيْك بن حَجّاج ثم تزوجها وانجبت له اولاداً .

وصدر البيت التي اجازت به اعتماد هو الذي اوحى لابن ظافر ان يقول:

فَلَو دام ذاك النّبْت كان زَبَرْجَدا ولو جَمَدت أنْهــاره كان بِلّوْرا

ومهما يكن من شيء منذ ان عرف المعتمد اعتماد وهو لا يهتم بشيء بقدر ما يهتم بها حتى انه لقب نفسه المعتمد كي يناسب لقبه اسمها ، وقد كان يعرف من قبل بمحمد الظافر والاسمان من مادة لغوية واحدة هي (اعتمد) ولقب المعتمد اسم فاعل واعتماد مصدر (1) وفي هذا لطيفة من لطائف النحو اهتدى اليها المعتمد بذوقه الشاعري(2) ـ إن كان ذلك عن نية وقصد ـ ، وآية ذلك ان اسم الفاعل من المشتقات كما هو مشهور فكأنه هو مشتق منها ومنبثق عنها ، فهي اصل له وهو فرع منها .

وحبه لها وهيامها بها لم يقف عند حد ، هذا الهيام كان يدفعه الى أن يلبي لها جميع رغباتها كيفما كان نوعها ، ولذلك يحكى انها أطلت يوماً من شرفة قصرها فلمحت جماعة من النساء يبعن اللبن ويدُسْنَ الأوحال والطين فاشتهت ان تفعل مثلهن هي وجواريها ، وما كان من المعتمد الا ان يخضع لامرها ، اذ امر بطحن كمية من الطيب والمسك والكافور في ساحة القصر وصب عليه ماء الورد وعجن كل ذلك حتى أمسى كالطين ثم داسته مع جواريها وقد حملت ـ وجواريها معها ـ القرب والحبال ، وسمي ذلك اليوم « يوم الطين » .

وظلت شاعرتنا تنعم بلين العيش وترفل في بحبوحة السعادة اعواماً تلو اعوام الى ان حدثت الكارثة التي هدمت صرح سعادتها اذ خلع المعتمد وسجن بأغْمَات ، فقالت له يوماً :

- يا سيدي لقد هُنّا هُنّا

قالت لقد هُنّا هُنـا   مولاي اين جاهُنـا

قلت لها الهنا   صيّرنا الى هُنّا

وبأغمات توفيت شاعرتنا اعتماد الرميكية حيث استأثرت رحمة الله بزوجها الملك المعتمد ابن عباد الشاعر .

---

16 – بثينة بنت المعتمد بن عباد(1)

شاعرة درجت في بيئة تبرعمت في رحابها الكلمة المجنحة والحرف المنغم ، انها بنت ملك شاعر مطبوع ، وبنت شاعرة ظريفة ، فلا محالة اذا أشربت حب الشعر مذ كانت برعماً يتفتح للحياة ، وغذى ملكتها الادبية المحيط الشاعري الرغيد ، لذلك كست تعبيرها رقة وجودة وتكومت في ثناياه عاطفة ندية ، لبثت هذه الشاعرة الرقيقة تعب من الحياة حلاوتها الى ان دق ناقوس الخطر معلناً بالنهاية المحتومة ، اذ حلت بأبيها النكبة المعروفة وَسُبِيَتْ ، فأصبحت من جملة العبيد تباع في الاسواق ، واشتراها رجل من اشبيلية ثم وهبها لابنه ، ولكنه لما اراد البناء بها امتنعت واعلنت عن نفسها وقالت له : لا يكون ذلك الا بموافقة ابي وبعد هذا كتبت لابيها تحكي له قصتها في اسى وحسرة بجل تفاصيلها :

إسْمَعْ كلامي وَاسْتَمِعْ لِمقَالتِي ... فَهيَ السلوك بَدَت من الأجْيَادِ
لا تُنْكروا أني سُبِيْتُ وأنّني ... بِنْتٌ لِمَلِكٍ من بني عَبّادِ
مَلِكٌ عظيمٌ قد تَوَلّى عَصْرُه ... وكذا الزمانُ يؤول للإفْسادِ
لمّا ارادَ اللهُ فُرقَةَ شَمْلنا ... وأذاقنا طَعْمَ الأسى عن زادِ
قَامَ النّفاقُ على ابي في مُلْكِه ... فَدَنا الفِراقُ ولم يكن بِمُرَادِ
فَخَرَجْتُ هاربةً وحَازَنِيَ امروٌ ... لم يأتِ في إعجاله بسَدَادِ
إذْ باعني بَيْعَ العَبيدِ فَضَمّني ... مَنْ صانني الاّ من الأنْكادِ
وأرَادني لِنِكَاحِ نَجْلٍ طاهِر ... حَسَنَ الخلائقِ من بني الأنْجادِ
وَمَضى اليكَ يَسُوم رأيكَ في الرّضى ... ولأنت تَنْظر في طَرِيق رَشَادي
فَعَسَاك يا أبتي تُعَرّفُني بِه ... إنْ كان ممن يُرْتَجَى لِودَادِ
وعَسى رُمَيْكيةُ الملوك بِفَضْلها ... تَدْعُو لنا باليُمْنِ والإسْعَادِ

وعندما وصلت الابيات الى ابيها وهو في المنفى يجتر احزانه بأغنمات سر هو وامها سروراً لا سبيل الى تصويره اذ علما أنها ما تزال حية ترزق فكتب اليها هذا البيت يبارك لها فيه زواجها :

بنيتي كوني به بســرة فقد قضى الدهر بإسعافه

17– قسمونة بنت اسماعيل اليهودي (1)

هذه شاعرة يهودية أغفلت المصادر ذكرها الا (النفح) ولكنه لم يشر الى العصر الذي عاشت فيه ، ورغم ذلك يمكن لنا ان نجعلها ضمن شاعرات عصر الطوائف ، ذلك ان هذا العصر تميز بازدهار الموشحات ، وشاعرتنا قسمونة كانت وشاحة – كما كانت ام الكرام بنت صمادح السالفة الذكر– ونعتمد في هذا على قول المقّري « وكان ابوها شاعراً واعتنى بتأديبها وربما صنع من الموشحة قسماً فأتمتها هي بقسم آخر » .

يروى ان اباها قال لها يوماً ، أجيزي :

لي صاحب ذو بَهْجَةَ قد قابلتْ نعمى بظلمٍ وَاستَحَلّت جُرْمها

واخذت الشاعرة تفكر وتستندى شاعريتها ثم قالت :

كالشّمسِ منها البدرُ يقبسُ نورَه أبَداً ويَكْسفُ بعد ذلك جُرْمُها

وعندما سمع اجازتها قام اليها والفرح يغمر قلبه وأخذ يقبل رأسها ويقول : انت والعشر كلمات أشعر مني .

ووقفت قسمونة يوماً امام المرآة تنظر اليها ؛ فراعها ألا يتقدم اليها احد يطلب يدها وهي الجميلة الوسيمة قد بلغت اوان التزويج ، فتحركت عاطفتها فقالت معبرة عن تجربتها ، آسفة على جمالها :

اری روضةً قد حانَ منها قِطافُها ولَسْتُ اری جانٍ يَمُدُّ لها يَدَا
فوأسَفا يَمْضي الشّبَابُ مُضَيّعا وَيَبْقى الذي ما إنْ أُسمّيه مُفْرَدا

وما ان سمع ابوها شكوتها تلك حتّى عمل على تزويجها .

وتقول قسمونة في ظبية لها وقد أبدعت اذ رأت فيها عالمها بكل ما فيه من جمال كجمال الحور ، وقسوة التوحش والعزلة :

يا ظبيةً تَرْعَى بروضٍ دائماً ... إني حَكَيْتُكِ في التَوَحّش والحَوَر

أمْسَى كِلانا مُفْرَدا عن صَاحِبٍ ... فلنصطبر أبداً على حُكْم القَدَر

عصر الموحدين

(539 - 633هـ)

كنا في ما سلف من الحديث قد بينا المنهج المعتمد في كتابة هذا البحث وهو انه سنمضي مع التطورات التي شهدتها الاندلس والدول التي تعاقبت عليها ، ورغم ذلك فانني وجدت نفسي مضطراً الى ان اضرب صفحاً عن ذكر عصر المرابطين ما دامت المادة الادبية النسوية لم تتوفر لدي .

ولا يفهم من هذا ان هذا العصر – عصر المرابطين – كان عصر جمود وركود – كما يحلو لبعض المؤرخين من المستشرقين ان يصفوه – بالعكس فانه كان امتداداً لما سبق في كثير المظاهر ، وهناك في هذا الصدد اكثر من دليل يقطع دابر الشك لمن يزيف الحقائق ، وكتب تاريخ الادب شاهدة ناطقة على ذلك ، ومن بينها (كتاب النبوغ المغربي في الادب العربي) لاستاذنا السيد عبد الله كنون(1) .

بعد ان خرقت دولة المرابطين في المغرب وانهار الصرح المؤثل الذي شيده البطل يوسف بن تاشفين ظهرت على مسرح السياسة دولة جديدة أقام اركانها المهدي بن تومرت وتسلم منه في ما بعد مقاليد الحكم عبد المؤمن بن علي الذي جاء الى الاندلس فاتحاً .

وفي ظلال هذه الدولة المغربية تفيأ الادب والشعر وازدهرت الحكمة والفلسفة وتعددت مواهب العلماء والادباء، ذلك اننا لا نعدم ان نجد جماعات مختصة في علم من العلوم او فن من الفنون ، وبعبارة اخرى لا نتعب في البحث عن العدد الضخم من الرجال الممثلين للثقافة والفكر في كل مجال من المجالات كاسرة ابن زهر في الطب وابن البيطار في النبات وفي الرياضيات احمد بن محمد البطروجي وفي النحو عمر بن محمد المعروف بالشلوبين ، في التاريخ ابن الابار وفي الفلسفة ابن طفيل وابن رشد وفي الادب والشعر اسماء العامرية والشلبية وحفصة الركونية اللواتي هن مسك الختام لهذا البحث، وأبو جعفر بن سعيد وميمون بن خبازة ويحيى بن مجبر .

وعلى الجملة فقد بلغت الحياة الفكرية شأواً بعيداً في كل مظهر من مظاهر النشاط المعرفي ، وليس يرجع ذلك الا الى ما كان يغدقه رجال الدولة من عطايا على ارباب الفكر ، وما يضفون عليهم من تشجيع حباً في العلم وشغفاً بالثقافة ، وليس ادل على ذلك من ولع يوسف بن عبد المؤمن بجمع الكتب الكتب حتى اجتمع لديه منها ما يقارب العدد الضخم الذي حوته مكتبة الحكم المستنصر بالله الاموي الشهيرة وفي (المعجب في تلخيص اخبار المغرب) للمراكشي قصة لطيفة(1) شيقة في هذا الموضوع تكشف عن تعلق هذا الخليفة العظيم بالعلم فليراجعها من اراد ان يطلع عليها .

ونضيف الى ذلك ان يعقوب بن يوسف المعروف بالمنصور اجتمع لديه من الشعراء عدد كبير ، وذلك عند رجوعه من غزوة الأرك يهنئونه بالفوز المبين ، حتى انه لم يتمكن لكل شاعر من إنشاد قصيدته كلها .

ورغم كل ذلك فان الاتجاهات الأدبية ظلت كما كانت من قبل ، اذ لم يتميز هذا العصر عن بقية العصور الاخرى بميزة ادبية جديدة ، فالفنون الشعرية من مدح وغزل ورثاء لم يعتورها تغيير يعد شيئاً طريفاً في بابه بغض النظر عما تلفعت به هذه الفنون الشعرية من الجمال في التعبير ، والثراء في التجربة والخصوبة في الخيال والجودة في تصوير البيئة الاندلسية وحياتها المترفة الناعمة وعالمها المثير ، ودنياها الزاهرة المشرقة .

---

18 – اسماء العامرية(1)

اديبة لها اشعار جميلة اشبيلية بعثت الى الخليفة عبد المؤمن بن علي رسالة تعرفه فيها بنسبها العامِرِيّ وتسأله ان يسقط الانزال عن دارها وما اعتقل من مالها ثم كتبت في خاتمتها قصيدة لم نعثر – عليها كاملة – قالت في اولها :

عَرَفْنا النصرَ والفتْحَ المُبِيْنا ... لِسَيّدنا أميرِ المؤمنينا

اذا كان الحديثُ عن المَعَالِي ... رأيتُ حديثَكُم فينا شُجُونَا

وبعد ذلك تقول :

رَوَيْتُمْ عِلْمَه فَعَلِمْتُمُوهُ ... وصُنْتُمْ عَهْدَه فَغَدَا مَصُونا

19 – حمدة بنت زياد المؤدب(1)

شاعرة رقيقة من اهل اللطف والجمال مع صيانة ونزاهة ، وتعرف « بحمدونة » ايضاً ، ابوها هو زياد بن بَقّي العَوْفي ، يطلق عليها (خنساء المغرب) كما في (المُغْرِب)(2) ، و(النفح)(3) ، على الرغم من انها لم تشتهر بقول الشعر الرثائي ، ولكن سبب هذا اللقب يرجع الى جودة شعرها ورصانة تركيبه والقدرة الفنية التي تتوفر عليها كما تتوفر عليها الشاعرة الخنساء ، وهي من « وادي آش » روى عنها ابو القاسم بن البراق ، ومن شعرها الجميل قولها مصورة أناتها التي جاءت نتيجة الفراق والبعد الذي تسبب فيه الوشاة من غير ذنب اقترفته او ثأر لها عندهم :

وَلَمّا أبَى الواشونَ الا فِرَاقَنَا ... وَمَا لَهُمُ عِندي وَعِنْدَكَ مِن ثَارِ

وَشَنّوا على أسْمَاعِنا كلَّ غَارَةٍ ... وَقَلَّ حُمَاتِي عندَ ذاكَ وأنْصاري

غَزَوْتَهُمُ من مُقْلَتَيْكَ وأدْمُعي ... ومِنْ نَفَسِي : بالسَّيْفِ والسَّيْلِ والنّار

وقد نسب بعضهم هذه الابيات لمُهْجَة بنت عبد الرزاق الغرناطية ، كما يقول المَقّري من غير ان يصرح بمصدره في ذلك كما هي عادته في بعض الاحيان ، بيد أنني أرجح نسبتها لحمدة ، وذلك لاشتهار حمدة برقة الشعر وحلاوته ، ولمعرفتها بسبك الكلمات في قالب ساحر ، وذاك ما يتجلى في الابيات السالفة ، وبالاضافة الى ذلك فان الابيات اثبتتها لحمدة جل المصادر المعتمدة في الموضوع .

وألحظ ان المقري عندما أورد رسالة الشقندي في الدفاع الاندلس الذي ساق فيها الابيات المذكورة منسوبة الى زينت اخت حمدة لم يشر من قريب

او بعيد الى حقيقة نسبتها ، في حين انه بعد ذلك اثبتها لحمدة عند حديثه عنها ، وكذلك محقق (النفح) الدكتور إحسان عباس .

اما بالنسبة للشقندي فقد يكون من المحتمل انه اعتمد على مصدر غير معروف لدينا نسبها الى زينب او انه سها فعوض ان يعزوها لحمدة عزاها لاختها زينب وخاصة وان كلتيهما تعرف ببنت زياد .

اما بالنسبة للمقري فمن الممكن انه لم يعر للامر اهتماماً الا بعد ان اطلع على المصادر التي تسنى له الاتصال بها ك (المغرب) لابن سعيد و (التكملة) لابن الابار و (الإحاطة) للسان الدين بن الخطيب فوجد فيها الابيات – على اختلاف الروايات بين هذه المصادر – لحمدة فغفل عن الرجوع الى تصحيح نسبتها ، وذاك يشبه التكرار الذي نصادفه في كتابه كأنْ يذكر خبراً ثم بعد ذلك يعيده مرة اخرى عن غير قصد .

واما الدكتور احسان عباس فغير معذور – مع تقديري لمجهوده في التحقيق وبالخصوص لمعلمة أندلسية كالنفح – في هذه القضية ؛ ذلك ان المسألة بسيطة جداً لا تحتاج الى كبير عناء ، وهي أن يُبَيِّنَهُ في الهامش الى ان الابيات التي نسبت لزينب قد اكدت نسبتها لحمدة مصادر اندلسية مهمة كالمغرب وغيره ، وبذلك يكون قد كشف الستار عن هذا اللبس بحجة العالم المحقق .

وخرجت حمدة او حمدونة شاعرتنا ذات يوم الى وادي (شنيل) من (وادي آش) مع جوار، وكان لها منهن هوى كما في عبارة ابن سعيد ، فسبحت معهن ثم ما لبثت ان تأثرت بالجمال المحدق بها ، جمال النهر المنساب يصافح الروض المعطار، والفتيات الجميلات يستحممن برشاقة وخفة عذبة، ومن بين أولئك الظباء الرشيقات مهاة إنسية ساحرة خلبت لب الشاعرة وسبت عقلها ، وهذه الفتاة لها لحظ فاتن ، فتنتة تكمن في تكسره ، وتكسره حلو مطيب هو الذي يعذبها ويذود النوم عن معاقد جفنها ، ولها ايضاً شعر ناعم غزير فاحم سواده كسواد الايل .

هذا الجمال بكل ما يحوي في رحابه من صور رائعة ولوحات لطيفة استثار عاطفة شاعرتنا فتدفق خاطرها بهذه الابيات المعبرة عن المعاناة :

أبَاحَ الدّمْعُ أسْرَاري بِوَادِي	لَهُ لِلْحُسْنِ آثَارٌ بَوَادي
فَمِن رَوضٍ يَطُوفُ بِكُلِّ أرْضٍ	وَمِنْ رَوْضٍ يطوفُ بكلِ وَادِي
وَمِنْ بَيْنَ الظّبَاءِ مَهَاةُ إنْسٍ	سَبَتْ لُبّي وقد مَلَكَن فؤادي
لَهَا لَحْظٌ تُرَقّدُهُ لأمْرٍ	وذاكَ الأمْرُ يَمْنعني رُقَادِي
إذا سَدَلَتْ ذوائِبَها عَلَيْهَا	رأيتَ البَدْر في افق الدّآدي

وتصف لنا حمدة — ان صحت الابيات لها كما ستأتي مناقشة ذلك عما قريب — وادياً آخر وصفاً بارعاً دقيقاً كأنك تراه وان لم تكن تراه تود برغبة ملحة ان تتفيأ ظلاله وتنعم بروعة أزاهيره الفيحاء ودوحاته الميادة ، هذا الوادي جاده الغيث فأمرع واكتسى حلة جميلة يتمايل بها نشوة وزَهْوا فتمتعت حمدة به هنيهة من الزمن استراحت فيها من شدة القيظ ، لذلك استشعرت من الوادي حنواً كريماً كحنو المرضعات على الفطيم ، واستمرأت من مياهه لذة تفوق لذة المُدَامة ، وانتشت بظلال أشجاره التي حمتها من حرارة الشمس ، والتي عطرت الجو بنسائم منعشة .

وذاك الوادي بِحَصَاه الوضيئة يبهر العذارى اللابسات الحلَى النفيسة ، لذلك يتلمسن بأناملهن —دهشة واستغراباً— عقودهن يحسبن أنها انفرطت من نحورهن فافترشت ارض الوادي استمع اليها تقول :

وَقَانَا لَفْحَةَ الرّمْضاء وادٍ	سَقَاه مُضَاعَفُ الغَيْثِ العَمِيمِ
حَلَلْنا دَوْحَهُ فَحَنَا علينا	حُنُوّ المُرْضعات على الفَطِيمِ
وأرْشَفَنَا على ظمأٍ زُلالا	ألَذّ من المُدَامة للنّدِيمِ
يَصُدّ الشّمْس أنّى واجهتنا	فيحجبها ويأذن للنّسِيمِ
يَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ العَذَارى	فَتَلْمَسُ جَانِبَ العِقْدِ النّظِيمِ

وهذه الابيات النابضة الحية المعبرة عن روح شفافة إحساس مرهف نسبها اهل المشرق للاديب احمد بن يوسف المنازي ومنهم ابن خلكان في (الوَفَيات)(1) وابو عبيد في (سمط اللآلي)(2) ولكن اهل الاندلس أثبتوها لحمدة وقت كان «المَنَازي» يقتات على سراب العدم لذلك يحدثنا الرّعَيْني عن هذا بقوله كما في (النفح) «كانت من ذوي الالباب واهل الآداب، حتى ان بعض المنتحلين تعلق بهذه الأهداب وادعى نظم هذين البيتين – يعني «ولما ابى الواشون إلى آخره – لما فيها من المعاني والالفاظ العذاب، وما غره في ذلك الا بعد دارها وخلو هذه البلاد من اخبارها، وقد تلبس بعضهم ايضاً بشعارها وادعى غير هذا من اشعارهاو هو قولها «وقانا لفحة الرمضاء واد ...» الى آخره، وان هذه الابيات نسبها اهل البلاد للمَنَازي من شعرائهم، وركبوا التعصب في جادة ادعائهم، وهي ابيات لم يَخْلبها غيرُ لسانها، ولا رَقَمَ برديها غير إحسانها، ولقد رأيت المؤرخين من اهل بلادنا وهي الاندلس اثبتوها لها قبل ان يخرج المَنَازي من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود»(3).

وقيل: ان المنازي نظم هذه الابيات ليعرضها على ابي العلاء المعري، وعندما اخذ يقرأها عليه وينهي قراءة المصراع الأول من كل بيت كان المعري يسبقه الى المصراع الثاني مما يبرهن على ان الابيات قيلت قبل المنازي، وان شهرة الابيات استفاضت حتى حفظها عن ظهر قلب ادباء المشرق على رأسهم ابو العلاء.

وبجانب ما أوردناه–اعتماداً على ما نص عليه (النفح) – فاننا نحس من خلال الابيات نفس حمدة ورياها العطر وشعورها الشفيف، ولكن ليس من الغريب ان تتقارب خواطر الشعراء – وتلك ظاهرة ادبية مسلم بها – وتتشابه الشفافية الشعرية بينهم فيحتمل ان تكون الابيات السالفة صدرت عن المنازي كما سيأتي البيان.

ولست اريد ان اقطع برأي في الخلاف القائم حول الأبيات المذكورة

ما دمت لا أملك براهين تحسم هذا الخلاف حسماً قاطعاً ، وحسب ما يبدو ان النص الشعري السابق قد يكون للمَـنَـازِي لانه اسبق وجوداً من حمدة اذ وفاته كانت سنة (437 هـ)(1) ، وحمدة روى عنها ابو القاسم محمد بن علي المعروف بابن البراق وهذا ولد سنة (529 هـ) وتوفي سنة (596) معنى ذلك ان شاعرتنا عاشت في القرن السادس ايام حكم الموحدين وانها عاصرت الشاعرة الرقيقة حفصة الركونية .

ومن الجائز ان القطعة الشعرية الاخرى التي قالتها حمدة في الوادي – وقد سبق ذلك – والتي مطلعها :

اباحَ الدمعُ أسراري بِـوَادي لَـهُ للحسن آثارٌ بـوَادي

حملت اصحاب الاخبار من الاندلسيين – نظراً للتشابه بين القطعتين – على نسبتها لها وذاك هو الرأي المحتمل عند أستاذنا الجليل السيد عبد الله كنون في رسالة شخصية بعثها اليّ جزاه الله خيراً .

وأود ألاّ يفوتَ القارىءَ رأيٌ أراه قد أكون فيه صائباً – بجانب رأي استاذنا كنون – هو ان هذا التشابه بين القطعتين مصدره الجوهري تأثر حمدة – اذا لم تكن الابيات لها – بالمنازي مع اختلاف في الصور الشعرية والاداء الفني ، واتفاق في الوزن والموضوع ، اما الوزن – وهو ليس ملْكاً لاحد طبعاً – فالنصان من البحر الوافر المقطوف العروض والضرب وتفسير هذا الاتفاق هو ان حمدة اختزنت – ضمن محفوظاتها الكثيرة – في عقلها الباطن – على حد تعبير علماء النفس – موسيقى الابيات ، وعند مرورها بالتجربة الشعرية الشبيهة بتجربة المنازي فاضت قريحتها بنفس الإيقاع عن عفوية سخية وطبع سلس .

اما الموضوع فهو (وادي آش) عند حمدة و (بَـانْـدَ ة بزاعة)(2) عند المَـنَـازِي وهي من اعمال حلب في (وادي بطنان) اشتهرت بمياهها العذبة وعيونها الجارية .

ولا أريد ان انهي الحديث عن حمدة دون أن اشير الى ان الاستاذ عبد العزيز الميمني رجع في كتابه (ابو العلاء وما اليه) نسبة الابيات للمنازي معتمداً في تخريجه لها على اكثر من عشرة مراجع تؤيده في ترجيحه .

وايّاً كانت الحال فان كل ما أدرنا عنه الحديث حول الابيات المختلف في نسبتها يدفع الباحث الى ان يقف وقفة تشكك وريب وحيطة في نسبة الابيات لحمدة الى حين الحصول على حجج قاطعة لا تدع مجالاً للتردد او حتى النقاش .

---

20 – الشلبية(1)

شاعرة رقيقة – كما يبدو من شعرها على قلته – عرفت بالشلبية نسبة الى بلدها شِلْبْ(2) ، من غير اسم كتبت الى يعقوب المنصور شعراً رسمت فيه ما تعانيه من ظلم والي بلدها ، وما تغلغل في مسارب قلبها من احزان نلمسها في ثنايا ألفاظه تتصاعد بتدفق ، وانسيابات وجدانية تدل على التجربة الصادقة الناضجة ، وقيل بأنها ألقت هذا الشعر على مصلى المنصور ، ولما انتهى من الصلاة قرأه فرقّ لها ثم أنصفها وأمر لها بصلة .

فلننصت إذاً الى لحنها الباكي نقاسمها شجنها ، ونعش لحظة في جوها الحــزين :

قد آن ان تَبْكي العُيــونُ الآبية	ولقد أرى ان الحِجَارةَ بَاكيةْ
يا قاصدَ المِصْرَ الذي يُرجى به	إنْ قَدّرَ الرحمنُ رَفْعَ كَرَاهيَةْ
نادِ الأميرَ اذا وَقَفْتَ بِبَابِه	يا راعيــاً إنّ الرّعيةَ فَانيةْ
أرْسَلْتَهَا هُمَلا ولا مَرْعى لها	وَتَرَكْتَهَا نَهْبَ السّباعِ العَادِيةْ
شِلْبٌ كلاشِلْبٍ وكانت جَنّةً	فأعادها الطــاعون نارا حاميةْ
خَافوا وَما خَافوا عقوبةَ رَبّهم	واللهُ لا تَخْفى عليهِ خَافيةْ

21 – حفصة بنت الحاج الركونية(1)

منهل عذب ، ندي النفحات ، ثر النسمات ، غني بكل رائق لطيف ، حلوة الحديث والمساجلة تنظم الشعر من غير حشمة ، لانها تنطلق على سجيتها ترجم العصر الذي عاشت فيه وهي من البَشرّات (2) (Alpujarras) وتنسب الى ركونة . عاشت في القرن السادس الهجري، ويرى المستشرق لويس دي جياكومو (Louis di Giacomo) في كتابه (حفصة الركونية) ان شاعرتنا كانت ولادتها في حدود (530 هـ – 1135 م) وانها في غالب الظن ولدت في غرناطة ونشأت فيها ، ويبرهن على ذلك بتربيتها المختارة التي تلقتها(3) .

واما تحديد لويس دي جياكومو لولادتها فمن المحتمل ان تكون في تلك السنة او قبلها بقليل او بعدها بقليل لان ذلك مجرد افتراض ليس الا ، ومع ذلك فأنا أؤيد الافتراض لانه اقرب الى الصواب وان لم يشر الى ذلك من تولى تاريخ حياتها لا من قريب ولا من بعيد وعلى الخصوص وسنة وفاتها معروفة تفسح المجال للباحث في الترجيح والاحتمال .

واما ولادتها – كما عند لويس – في غرناطة فلا يمكن التسليم به بسهولة تامة ، وما يمكن الركون اليه هو انها تثقفت في غرناطة ونبه بها أمرها فأصبحت لها حظوة لدى سراة الرجال وعلية القوم حتى هامَ بها ابو سعيد ابن عبد المؤمن امير غرناطة ونافسه فيها الوزير ابو جعفر بن سعيد كما سيأتي .

وشاعرتنا حفصة تعتبر استاذة الشواعر في عصرها اذ لم تكن شاعرة اخرى في عهدها تزاحمها وتقاسمها مكانتها الشعرية – باستثناء حمدة ان ثبت انها عاشت في عصر الموحدين – والحقيقة انها كانت استاذة الشواعر

لكونها تمتلك قوة شعرية هائلة واداة مطواعة فنية تبوئها تلك المكانة الادبية وسأتحفك بنصوصها الشعرية الحلوة التي تشهد لها بذلك .

وكما كان لِوَلاّدة التي حدثتك عنها – في ما مضى – حديثاً طويلاً شاعر في عصرها اكتوى بنار حبها ، كان لحفصة شاعر تعلق بها وتعلقت به وساجلها وساجلته وان اختلفت ظروف الشاعرين – شاعر وَلاّدة وشاعر حفصة – واتفقت في بعض منها ، وذاك الحب كان من العوامل الفعالة في إبرازِ عملها الشعري الى الوجود الادبي ، اذ جانبه الاكبر يعبر عن حياتها العاطفية في صدق وامانة .

اما صاحبها فهو الشاعر ابو جعفر احمد بن سعيد(1) الذي كان وزيراً لابي سعيد عثمان ابن عبد المؤمن امير غرناطة ، احب شاعرتنا حباً صادقاً ، وبادلته هي نفس هذا الحب .

واما علاقة حفصة بأمير غرناطة فيبدو لي انها كانت علاقة مجاملة ومداراة لم تكن تحمل في طياتها مودة ووداداً ، وانما نفاقاً مغلفاً بهالة من الوئام خوفاً من سخط الامير وغضبه . وليس ادل على ذلك من انها ما تحدثت عن هواها له في شعرها حديثاً صادقاً ينطوي على لوعة قلب جريح الا ما كان من مدح يكاد يكون خلواً من العاطفة الحقة كما هي الحال في اكثر مدائح الرؤساء في تاريخ الادب الانساني كقولها تهنئه في يوم عيد :

يَاذَا العُلا وابنَ الخَليـ	فَةِ والامَـامِ المُرْتَضَى
يَهْنيكَ عيدٌ قَدَ جرَى	فيه بما تَهْوى القَضَـا
وأتاكَ مَنْ تَهْوَاهُ في	قَيْدِ الإنَابة والرِّضا
لِيُعيدَ مِـنْ لَذّاتِهِ	ما قد تَصَرَّمَ وانْقَضَى

وليس يرتاب احد في ان الابيات متكلفة نحتتها الشاعرة من صخر ، ولا تعبر عن شعور نَدِيّ ، والبيت الثالث ينبئك عن هذا التكلّف الذي

دفعت اليه دفعاً تحت وطأة الفَرَق من غضب الامير ، واعيد على سمعك ذلك البيت لتتأكد مما أذهب اليه . ولكن قف امام كلمة (تَهواه) بضمير المخاطب وامام كلمة (قيد) و (الإنابة) و (الرضى) متمهلاً مترويأً مستبطناً ما تنطوي عليها من دلالة نفسية تفصح عن قلق داخلي أثاره وجل من جفوة الامير وما يعقب الجفوة من ضغينة وحقد :

وأتَاكَ من تَهْواه في قَيْدِ الإنابة والرّضَى

وعلى النقيض اذا رحنا نبحث عن علاقة حفصة مع ابي جعفر من خلال اعمالها الشعرية فاننا نَلْقى وشائج حب تربط بين قلبين والِهَيْن ، وذاك هو السبب الجوهري الذي أوقد نار المنافسة بين الامير ووزيره ابي جعفر ، وان لم تكن ظاهرة واضحة ولا قوية شديدة ، كما شاهدناها بين ابن زيدون وابن عبدوس ، لان الصراع هنا ليس بين متكافئين ، وانما بين رئيس ومرؤوس ، وقد أدت هذه المنافسة الى ان أمر الامير بضرب عنق ابي جعفر ، وذلك انه بلغه قول ابي جعفر لعشيقته حَفْصة عندما رأى مجاملتها للامير « ما تحبين في ذلك الاسود ، وانا أقدر ان اشتري لك من سوق العبيد عشرة خيراً منه »(1) . فأسر الامير هذه القولة الجارحة في نفسه الى ان حانت الفرصة عندما لحق أخو ابي جعفر عبد الرحمن بالثائر مَرْدَنِيش في شرق الاندلس .

ويزعم ياقوت(2) في معجمه ان الذي تولع بحفصة ليس هو الامير عثمان وانما ابوه عبد المؤمن امير المؤمنين ، بيد ان هذا مناف للواقع التاريخي ، وآية ذلك ان المصادر الاندلسية (كالمُغْرِب) وهو اصح مصدر في هذا اذ ان ابا جعفر من احد مصنفي (المغرب) الستة وآخرهم هو علي ابن موسى الذي يقول عن ابي جعفر « هو عم والدي واحد مصنفي هذا الكتاب ، وكان كثير الاعجاب بشعره ، مقدماً له على سائر اقاربه ، واستوزره عثمان بن عبد المؤمن ملك غرناطة »(3) . ثم يقول عن اشتراكهما في هوى حفصة: « وانضاف الى ذلك اشتراكهما في هوى حفصة الشاعرة » (4) .

اقول ان المصادر الاندلسية « كالمغرب » و « النفح » تنسب هذا التعلق لعثمان ، الامر الذي دفع ابا جعفر وهو في حالة نفسية من الغيرة القاتلة الى ان يطعن في الامير ويحتقره بلونه الاسود ، في حين ان عبد المؤمن كـــان ابيض ذا جسم عمم تعلوه حمرة شديد سواد الشعر وضيء الوجه ، كما يقول المراكشي (1) .

وما من شك وحفصة على اتصال مباشر بصاحبها ابي جعفر ان تتمخض عن لقاءاتهما العذبة اعمال شعرية تصور مناخاً عطراً بالحب ، وجواً متأرجاً بالهوى ، وها هو ابو جعفر يطلب منها ان تجود عليه باجتماع معها ، فسوّفَتْه شهرين ، وعندذاك ارسل اليها أبياتاً يبثها فيها لواعجه وحرقاته بقـــول :

يَا مَنْ أجَانِبَ ذِكْرَ اسـ	ـمِهِ وَحَسْبِي عَـــلامهْ
مَا إن أرى الوَعْدَ يُقْضَى	والعُمرَ أخشى انْصِرامَهْ
اليومَ أرجـــوكَ لا أن	تكونَ لي في القِيَـــامهْ
لو قَدْ بَصُرْتَ بِحَـــالي	والليلُ أرخى ظَلاَمهْ
أنُوحُ وَجْداً وَشَوْقاً	إذْ تَسْتَرِيح الحَمَامَهْ
حَبّ أطالَ هَوَاهُ	عَلى الحَبيب غَرَامَهْ
لِمَنْ يتِيهُ عَلَيــْهِ	وَلا يَرُدّ سَلاَمَهْ
إنْ لَمْ تُنيلي أرِيحي	فَاليأسُ يُثْني زِمَامَهْ

فأجابته :

يا مُدّعي في هَوَى الحُسْـ	ـنِ والغَـــرامِ الإمَامَهْ
أتى قَرِيضُكَ ، لَكِـــنْ	لَمْ أرْضَ مِنْهُ نِظَامَهْ
أمُدّعي الحُبّ يُثْنِي	يأسُ الحَبيب زِمَامَهْ ؟
ضَلَلْتَ كلّ ضَلاَلِ	ولَمْ تُفِدْكَ الزّعَـــامَهْ

مَا زِلْتَ تَصْحَبُ مذ كُنْـ ـتَ في السباق السّلامه

حتّى عثَرْت وأخجلْـ ـتَ بافتضـاح السآمَه

بالله في كلِ وقتٍ يُبْدي السّحابُ انسجَامَه

والزّهْر في كل حيْنٍ يَشُقّ عَنْـه كمَامه

لو كنتَ تعرفُ عذْري كَفَفْتَ غرْبَ المَلامَه

ثم ارسلت هذه الابيات مع رسول ابي جعفر بن سعيد بعد ان سبه هو وصاحبه ، ولما وصل الى ابي جعفر سأله ما وراءك يا عصام ؟ فقال له ما يدل على عدم موافقة الشاعرة على الاجتماع معه ، وبعد ذلك سلّم له الابيات ، وعرف من خلالها ان صاحبه بليد وان صاحبته ستأتي اليه عكس ما قاله رسوله ، وان الموعد سيكون بروضه المسمى (الكمامة) .

وما ان مرت فترة ليست بالقصيرة حتى وصلت حفصة الى (الكمامة) فهم بتوبيخها ولكنها أنشدته بصوت رخيم حلو :

دَعِي عَدّ الذّنوبِ اذا التقَيْنَا تَعَالَيْ لا نَعُدّ ولا تَعُدّي

وفيما هما فيه من حديث يجري في رفق تتخلله كلمات الحب ، وعبارات الهيام اذ برقعة يرسلها الى ابي جعفر الشاعر الكُتَنْدِي مكتوب فيها :

ابا جعفرٍ يا ابنَ الكرام الأمَاجِد خلوت بمن تَهوَاهُ رغماً لِحَاسِد

فهَلْ لَكَ في خِلٍ قَنُوعٍ مُهذّبٍ كَتُومٍ عليمٍ باختفاء المَرَاصِد

يَبيتُ إذا يَخْلو المحبّ بِحِبّهِ ممتعَ لَذّاتٍ بخمسٍ ولائدِ

وقرأ ابو جعفر الابيات على حبيبته حفصة فلم تملك الا ان قالت :

– لعنه الله قد سمعنا « بالوَارِش » على الطعام و « الواغِل » على الشّرَاب ولم نسمع اسماً لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما .

ثم قال لها ابو جعفر والابتسامة تتلألأ على محياه :

– بالله عليك سميه لنكتب له بذلك .

فقالت :

– انني اسميه « الحَائِل » لأنه يريد ان يحول بيني وبينك .

وبعد برهة كتب على ظهر رقعة أبياتاً أولها :

يَا مَنْ إذَا مَـا أتانِي جَعَلْتُهُ نُصْب عَيْني
تَراكَ تَرْضى جُلُوساً بين الحبيب وبَيْنِي

وكتب ايضاً :

سَمّاكَ من أهْواهُ حَائلْ إن كُنْتَ بَعْدَ العِتَاب واصلْ
مَع أنّ لَوْنَك مُزْعِجْ لَوْكُنْت تُحْبَس بالسّلاسِل

وأسرع الرسول قاصداً الكُتَنْدي ليبلغه الابيات ، ولكنه وجده قد وقع في حفرة نجسة ، وعندما قرأها طلب من الرسول ان يخبرهما خبره ، ولما علم الحبيبان ما حدث استولت عليهما نوبة من الضحك .

ولم يكن هذا هو اللقاء الاول والاخير لحفصة بحبيبها ابي جعفر ، لا ، فقد تعددت اللقاءات في أماكن مختلفة ، وكثرت المواعد في بساتين متنوعة ، فها هي حفصة تقضي معه سويعات قَرَنْفُلِيّات في بستان (حَوْزَ مؤمل) وفي ذلك يقول ابو جعفر في مستهل ابيات له بعثها لها بعد الافتراق :

رَعَى اللهُ لَيْلا لم يَرُحْ بِمُذَمّم عَشِيّةَ وارانا بِحَوْز مُؤمّلَ

فكتبت اليه تجيبه قائلة :

لَعَمْرِكَ ما سُرّ الرياضُ بِوَصْلنا ولكنه أبدى لنا الغِلّ والحَسَدْ
ولا صَفّقَ النهرُ ارتياحاً لِقُرْبنا ولا غَرّدَ القُمْرِيّ الا لِمَا وَجَدْ

فلا تحسبن الظن الذي أنت أهله . فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمر سوى كيما تكون لنا رصد

وليلة كان أبو جعفر في مجلس مع ثلة من الاصدقاء يتمازحون ويتطارحون احاديث شتى اذا بطرقات على الباب فخفت جاريته تنظر من بالباب فوجدت امرأة فقالت لها :

– ما تريدين ؟

فأجابتها :

– سلمي لسيدك هذه الرقعة .

ثم سلمت لسيدها الرقعة ، واذا به مكتوباً عليها أبياتاً علم من ثناياها انها لحفصة وكيف يخفى عليه شعرها وقد احتك به احتكاكاً ، وعرف نكهته وصياغة اسلوبه ، واعاد قراءتها بصوت هامس خافت :

زائر قد أتى بجيد الغزال مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت ورضاب يفوق بنت الدوالي
يفضح الورد ما حوى منه خد وكذا الثغر فاضح للآلي
ما ترى في دخوله بعد إذن او تراه لعارض في انفصال

ولما انتهى من قراءتها اسرع الى الباب يستقبلها والفرحة تغمر كيانه بلقاء الحبيب .

وتقول في حبيبها الذي نزح عنها مرسلة اليه سلاماً محملاً بعبير الحب تنطق بحرارته شحارير الغصون فتنطلق تسجع في عذوبة حاكية قصة الحبيبين ، والذي هو راقد في أطواء نفسها رغم البعاد :

سلام يفتح زهر الكمام وينطق بالشدو ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا وإن كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا البعد ينسيكم فذاك والله ما لا يكون

ثم يستبد الهوى بشاعرتنا ، وتعصف بجوانحها الغيرة فتقول مختلجة الاعمـــاق :

أغَارُ عَليكَ مِنْ عَيْنَيَّ رَقيبي ... وَمِنْكَ وَمِنْ زَمَانِك والمَكَانِ
ولو أنّي خَبَّأتُكَ في عُيوني ... الى يوم ِ القِيامةِ مــا كَفَانِي

وها هي تقول ابياتاً معبرة فيها عن استسلامها لحبيبها بكليتها . اذ تقدم له نفسها دونما تحفظ ، فثغرها معين عذب حلو وذوائب شعورها ظل وارف ، ومتى ألح على صاحبها ظمأ في يوم قائظ ، فعندها ما ينقع أواره ويريح جسمه من ضراوة الهجير في واحة جميلة :

أَزُورُكَ ام تَزُورُ فانّ قـــلبي ... الى ما تَشْتَهي أبَداً يَميــلُ
فَثَغْرِي مَوْرِدٌ عَذْب زُلالٌ ... وَفَرْعُ ذُؤابَتِي ظِــلّ ظَليلُ
وَقَدْ أمّلْتُ ان تَظْمَا وتَضْحَى ... اذا وَافى إليكَ بِيَ المَقيلُ
فَعَجّل بالجَوَابِ فما جَميلٌ ... إباؤك عن بثُيَنْةَ يا جَمِيلُ

ولقد قرأت ولا شك هذه الابيات – يا من يهوى الحديث عن القلوب العطشى الى مورد الحب – وأعجبت بها – كما أعجبت بها أنا – ولا شك ايضاً أنك أحسست بدغدغة همساتها – كما احسست بها انا – وتيقنت تيقناً لا سبيل الى الارتياب فيه ان الابيات بوح جميل يتسلل عذباً لطيفاً الى القلوب تحمله الجرأة الفائرة ، وسكرة الحب ، وحرقة الهوى ، ويشكل ألحاناً تتناغم تناغماً يبرز دلال المرأة وزهوها في صورة رضية رخية .

والابيات كما لا يخفى عليك تذكرنا بجمالها وصورها أبيات سلمى بنت القراطيسي من اهل بغداد ، ذلك ان صلة رحم تجمع بين هاتين الشاعرتين الا وهي نزوة الدلال وزهو الافتخار بالجمال تقول ، فيها :

عُيونُ مَهَا الصّريم ِ فِداءُ عَيْني ... وأجيادُ الظّباءِ فِداءُ جِيدي
أزَيّنُ بالعُقود ِ وإنّ نَحْري ... لأزْيَنُ للعقود مِن العُقُودِ
ولا أشكو من الأوصابِ ثِقْلا ... وتَشْكو قَامَتي ثِقْلَ النّهُودِ

ودوام الحال - كما يقولون - من المحال ، لذلك تعكر جو الحب بين الحبيبين عندما تناهى الخبر الى حفصة بأن عشيقها ابا جعفر يحب فتاة سوداء ، وانه قضى معها اياماً بظاهر غرناطة ، فقالت ساخرة به وبمعشوقته الجديدة أيّما سخرية بدافع قوي من الغيرة :

يا أظرفَ الناسِ قَبْلَ حالٍ أوْقَعَهُ نَحْوَه القَدَرْ
عَشِقْتَ حسناءَ مِثل لَيْلٍ بَدائِعَ الحُسْنِ قد سَتَرْ
لا يَظْهر البِشْر في دُجاها كلاّ ولا يُبْصِر الخَفَرْ
باللهِ قُلْ لي وأنتَ أدْرى بكل من هام في الصّوَرْ
مَنِ الذي هَام في جِنانٍ لا نُوْرَ فيها ولا زَهَرْ

وتمر ايام النحس وساعات النكد ، لتحل مكانها اوقات الانبساط والانشراح ، فتبعث اليه قولها :

سَارَ شِعْري لَكَ عَنّي زَائِراً فأعرْ سَمْعَ المَعَالي شَنَفَهْ
وكَذَلك الروضُ إذ لم يَسْتَطِعْ زَوْرَةً أرْسَلَ عَنْه عَرْفَهْ

فيجيبها ابو جعفر :

قد أتانا مِنْكِ شِعْرٌ مثلما أطْلَعَ الأفْقُ لنا أنْجُمَهُ
وَفَمٌ فَاهَ بهِ قَدْ أقْسَمَتْ شَفَتِي باللهِ أنْ تَلْثُمَهُ

وشاعرتنا كما مر بنا منذ حين ترسم ريشتها تجربتها المعاشة من غير ان يحول الوقار دون التعبير عنها فأنصت اليها لتقف على الحقيقة بنفسك :

ثَنَائي على تِلْك الثّنَايا لأنني أقولُ على عِلْم وأنْطِقُ عن خُبْرِ
وأنْصِفُها لا أكذِبُ اللهَ أنني رَشَفْتُ بها ريقاً أرَقَّ مِنَ الخَمْرِ

وكتبت له تخبره عما يتحدث به حساده في مكانته التي بلغها ، ولكن

ليس عجيباً فأبو جعفر ساد قومه لانه جدير كل الجدارة لكونه أبداً يطمح الى العلا والمجد ، ويتجنب الدنايا وكل ما من شأنه ان يدنس شخصيته الفذة :

رأسْتَ فما زالَ العِداةُ بِظُلْمِهِمُ وعِلْمِهِمُ النّامي يقولونَ مَا رَأسْ
وهَلْ مُنْكَرٌ إنْ سَادَ أهْلَ زَمَانِهِ جَمُوحٌ الى العَلْيا حرونٌ عن الدّنس

وشاعرتنا بعد ان نضج شعرها ، احتلت مكانة مرموقة في الاندلس ولا سيما غرناطة ، ولذلك ولع بأدبها كل من هام بالكلمة الجميلة ، وهذه امرأة من شريفات غرناطة تسألها ان تبعث اليها تذكاراً بخط يدها فكتبت اليها تقول :

يا رَبّةَ الحُسْن بل يا رَبّةَ الكَرَم غُضّي جُفُونَكِ عَمّا خَطّه قَلَمي
تَصَفّحيه بِلَحظِ الوُدّ مُنْعِمَةً لاتَحْفلِي بردِي الخَطّ والكَلِمِ

هذه هي حفصة الشاعرة الطروب ، الاديبة المتماجنة ، زاملناها في عريش حبها مع حبيبها وشاهدناها وهي تمتص من زهرة الحياة رحيقهـا فتستنيم الى إشراقة سعادتها كما تستنيم أنداء الفجر الى براعم الزهور في اطمئنان منعش ، ورضى شيق ونشوة مسكرة غافلة عما سيتثاءب عنه صباح الغد .

ثم تحول ضياء الحياة حلكة بعد قتل حبيبها ، وأصبحت امانيها الواعدة المضيئة ذكريات ترقص في عالمها الكئيب في صورة أطياف باهتة أحياناً ، وواضحة المعالم احياناً اخرى ، واجدني في هذه المرحلة العصيبة المتجهمة من حياتها منجذباً بدافع من حب الكشف والبحث الى تلمس شخصها في ظلام الضنى ، ومعرفة أثر المأساة في نفسها الشاعرة ، ولكنني أرتد الى الوراء حائراً خاوي الوفاض بادي الانفاض كما يقولون ، وهذا — عندي — ان يعزى الى شيء فإنما يعزى الى ان فترة حياتها تلك غامضة ، وغموضها آتٍ — وذاك ما يبدو لي — من ان شاعرتنا بعد البطش بحبيبها انزوت في ركن من بيتها تجتر أساها ، وتلعق لوعتها ، وتقتات على ذكرياتها المشرقات

تستمد منها العون والجلد ، لذلك فالمصادر – وهي معروفة ببخلها بأخبار النساء – جعلت يدها مغلولة الى عنقها لا تمدنا بخبر عن حياتها ، ولا تتحفنا بعمل شعري استوحته من رزئها الا ما كان من ابيات نتحسس في ثناياها لمسة رثائية .

ولا أرتاب في ان عاطفة شاعرتنا ازاء هذا الموقف المأسوي الرهيب قد تصدعت أيما تصدع فجاشت بشعر رثائي ينم كل حرف فيه عن نفس معذبة ، ويتصاعد من كل كلماته بخار قلب محترق تعجز قوافي الشعر وأوزانه عن استيعابها ، وليس هذا القول ضرباً من المجاز . وتحليقاً في سموات الخيال على عادة الشعراء والادباء ، وانما هو ضرب من الحقيقة التي لا يمكن ان ننكرها او نحاول تجاهلها ، لأنه الفن الرثائي عموماً وليد شعور صادق معباً بلفح التجربة المرة الضارية ولا سيما اذا صدر عن النساء « لانهن أشجى الناس قلوباً عند المصيبة وأشدهن جزعاً على الهالك » كما يقول الاستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي(1) .

وكذلك اذا ما أعدنا الى الأذهان شعرها الذي قالته في حبيبها أثناء غيابه عنها فقط – وقد مر بك منذ لحظات قصار – وماذا تحزر ان تفيض بـــه قريحتها والنكسة مروعة والخطب جلل لا لقاء بعده البتة .

ويمكن لي ان أعزو خلو المصادر من مراثيها الى انها اخفتها حتى لا ينمى خبرها الى عدوه الامير عثمان وعلى الخصوص اذا كانت تتعرض له فيها ولمن كان عود الثقاب في نكسة حبيبها فظل اكثره نسياً منسيا ، لذلك لم يتسن للمصادر روايته كالمغرب – وهوجد مهم في هذا الصدد – والاحاطة والنفح الا ابيات قليلة ، تشي بأن نفس الشاعرة لم يتوقف عن الحركة والبوح الشجي ، وتشعرنا نبراته اللاهبة بانفصامه عن النسيج العام لعملية الخلق ، ويؤكد هذا ما حكاه المقري بقوله « وقولها من ابيات »(2) حينما اورد بيتيها اللتين تقول فيهما متوجعة مبهورة الانفاس ، جريحة القلب ، ذاهلة العقل :

وَلَوْ لم تَكُنْ نَجْماً لما كان نَاظِرِي   وَقَدْ غِبْتَ عنه مُظْلماً بَعْدَ نُورِهِ
سَلامٌ على تلكَ المَحاسِنِ من شَجٍ   تَنَاءت بِنُعماه وَطِيْبِ سُرورِهِ

ولا مَشَاحَةَ في ان البيتين يعبران عن حرقة فؤاد تمج شرايينهُ مرارةَ الضنى ، وبتقربنا لكل كلمة فيهما نحس بحنظلية الجوى ، وعنف الحسرة على أيامها الحوالي ، كما نحس بأنهما مقتطعان من ابيات سالفة .

وتقول وقد ذكرها البارق الخفاق في سكون الليل وهدوئه بحبيبها الراحل :

سَلُوا البارقَ الخَفّاقَ والليلُ ساكنٌ   أظَلَّ بأحبابي يُذَكّرني وَهْنا
لعمري لقد أهْدَى لِقَلْبِيَ خَفْقَهُ   وأمْطَرَني مُنْهَلَّ عارِضِهِ الجَفْنَا

وتقول متحسرة على مصير حبيبها داعية من يسمع شعرها الى ان يترحم عليه وينوح ما شاء الله له النواح لانه اصبح أثراً بعد عين :

هَدّدوني من أجل لُبْس الحِدَادِ   لحبيبٍ أرْدُوهُ لي بالحِدَادِ
رَحِمَ اللهُ من يَجودُ بِدَمْعٍ   أوْ ينوح على قَتِيلِ الأعَادِي
وَسَقَتْهُ بِمِثْلِ جُودِ يَدَيْهِ   حَيْثُ أضحى من البلادِ ، الغَوَادي(1)

وبعد هذا تفاجئنا المصادر بظهورها في قصر الموحدين بمراكش ، وحول هذا يدير « لويس دي جياكومو » تساؤلات بقوله مترجماً » انه مما لا ريب فيه انها غادرت بلدها ، ولكن في اي وقت كان ذلك ، وهل حدث هذا عندما أحست بحاجة ملحة الى الالتحاق بالبلاط الامبراطوري لتعمل هناك استاذة مؤدّبة ؟ ام ان ذلك حدث من قبل – يعني على سبيل التمثيل – بعد انصرام برهة زمنية على تعذيب صاحبها مما أدى الى ان تضيق ذرعاً بغرناطة ، ويبدو لنا ان الجواب عن كل ذلك غير ممكن ، وسبب هذا ان في ترجمة حياة حفصة حلقة زمنية مجهولة تقدر بنحو عشرين سنة تقريباً ، وما دمنا نحتاج الى بيانات ، فانه ليس بمكنتنا ان نعرف أي شيء عن حفصة ايام حكم ابي يعقوب يوسف »(2) .

وبعد استقرارها بالقصر الموحدي بمراكش تلتزم المصادر ايضاً الصمت كل الصمت فلا تحكي عن حياتها به شيئاً ، مع العلم ان فترتها هذه قد تكون بالنسبة لشاعريتها ملهمة إياها عندما تلتحم التجربة الحالية بآثار التجربة القديمة ، ويعني ذلك انها قد تسمع او تشاهد نكبة إنسان فتتذكر مأساة الحبيب الراحل ، وهنا تتصدع الانا وتتبادل التجربتان التأثر والتأثير وتمسي الأنا في اضطراب لا يتحقق لها الاتزان والانسجام - كما عند علماء التحليل النفسي (1) - الا بعد ان تبدع عملاً فنياً يعيد التوازن إليها ، وكل ذلك لم نظفر به مهما حاولنا استرفاد المصادر واستنطاقها .

وبمراكش سنة (586 هـ) تفيض نفس الشاعرة وتختفي من الحياة فتختفي معها الكلمة الموحية الخافقة والحرف المعبر عن واقع حب عميق الغور ، ولهاث ساخن يعكس ظلال المشاعر المغدقة بالبوح الانساني النابض .

---

37 – ام السعد بنت عصام الحميري(1)

شاعرة من قرطبة تعرف بسعدونة روت عن ابيها وجدها وخاليها عامر وابي بكر ابنيْ هشام بن عبد الله الازدي توفيت بمدينة مالقة سنة (640 ه) او نحوها ، والظاهر انها كانت شاعرة متدينة عفيفة محبة في الذات النبوية الكريمة ، ويتبدى ذلك في قولها في تمثال النعل النبوي تكملة لقول غيرها :

سألثُمُ التّمْثال إذ لم أجِــد ... لِلَثْم نَعْلِ المُصْطفى من سبيل

. . . .

لَعَلّني أحظــى بِتَقْبيله ... في جنةِ الفردوسِ أسنى مَقيلِ

في ظِلّ طوبِي ساكناً آمنــاً ... أُسقى بأكواسٍ من السلسبيلِ

وأمسحُ القَلبَ بـــه علّه ... يَسْكن ما جاشَ بـــه من غَليلِ

فطالما استشفى بأطـــلالِ مَنْ ... يَهْواه أهلُ الحبِ في كـــل جيلِ

واما البيتان التاليان المنسوبان لها :

آخِ الرّجـــالَ من الابـــا ... عد ، والأقارِبَ لا تُقارِبْ

انّ الاقـــارب كالعقا ... رِبِ وأشدّ مِنَ العَقَارب

فانهما لابي الفضل محمد بن العميد الكاتب الشهير وقد نص على ذلك المقري نفسه حين اورد البيتين فقال « ورأيت نسبة البيتين لابن العميد »، ومن يرجع الى كتاب (يتيمة الدهر) للثعالبي(2) وكتاب (وفيات الاعيان) لابـــن خلكان(3) يجد البيتين منسوبين لابن العميد وهو اسبق وجوداً من سعدونة لانه توفي سنة (359 او 360 ه) .

ملحق

38 – فاطمة بنت يحيو بن يوسف المغامي(1)

هذه امرأة فاضلة عابدة عالمة فقيهة قطنت قرطبة وتوفيت بها سنة (319 هـ) ودفنت بالربض وقد صلى عليها محمد بن أبي زيد .

39 – مزنة كاتبة الخليفة الناصر(2)

كاتبة ذكية ، عارفة بالخط وحسبها انها كانت تقوم بمهمة الكتابة للخليفة الناصر لدين الله ماتت سنة (358 هـ) .

40 – اسماء بنت غالب(3)

أديبة أريبة فاضلة ، ابوها هو غالب صاحب مدينة (سالم) وفارس الاندلس وحاجبها ، كانت متزوجة اول الامر بالوزير عبد الرحمن بن موسى بن حدير فطلقها ايام الحكم ، ورأى محمد بن ابي عامر الملقب بالمنصور ان يتزوجها ليتقرب من ابيها غالب ويحقق طموحه العريض بعد ان وافق ابوها على تزويجها من عثمان بن جعفر المصحفي الذي عمل هو بدوره على مصاهرته حفاظاً على منصبه ، ولكن المنصور ما لبث ان كاتب غالباً يطلب منه يد ابنته اسماء وتمت كتابة عقدها في محرم سنة (367 هـ) ، وزفت اليه من قصر الخلافة ، وكانت ليلة عرسها ليلة مشهورة في الاندلس وتكفل

الخليفة بجميع نفقات هذا الزفاف وظل المنصور معها طول حياته .

وحدث بين المنصور ابن ابي عامر وغالب ما عكر صفو المصاهرة بينهما مما أدى الى قتل غالب بعد معركة دارت بين المتصاهرين وبعد ذلك ارسل رأسه الى ابنته اسماء فحزنت عليه اشد الحزن ثم امرت باحضار ماء الورد والطيب والمسك وغسلته وكان ذلك سنة (371 هـ) .

41 – لبنى كاتبة الخليفة الحكم(1)

شاعرة اديبة ضربت بسهم وافر في شتى ضروب العلم كالنحو والحساب والعروض بالاضافة الى تفننها في الكتابة والخط وكانت وفاتها سنة (374 هـ)

42 – خديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار التميمي(2)

هذه العالمة هي زوجة عبد الله بن اسد الفقيه حدثت عن زوجها بموطأ القعنبي قرأه عليه بلفظها في اصله كما يقول ابن بشكوال ويضيف ابن بشكوال قائلاً « وقيدت فيه سماعها بخطها في سنة (394 هـ) سمعت شيخنا ابا الحسن بن مغيث رحمه الله يذكر ذلك وذكر لي ان الكتاب عنده ، ثم رأيته بعد ذلك على حسب ما ذكر رحمه الله ورأيت من تحبيسها كتباً كثيرة على ابنة ابي محمد بن اسد الفقيه » .

43 – فاطمة بنت محمد بن علي اللخمي(3)

عالمة شاركت اخاها ابا محمد في بعض شيوخه ، عاشت في القرن الرابع

الهجري وان لم يشر الى ذلك ابن بشكوال ، لان هذه العالمة اجازها واجاز اخاها ابا محمد الباجي الاشبيلي في جميع روايته بخطه محمد بن فطيس الالبيري ، وابن فطيس هذا مات في شوال سنة (319 هـ) .

44 – راضية مولاة عبدالرحمن الناصر(1)

تدعى نجم اعتقها الحَكَم وتزوجها لبيب الفتى وحجت معه سنة (353 هـ) ولقيا ابن شعبان القرطبي وغيره وقد روى عنها ابو محمد بن خزرج ، وصرح بأن لديه بعض كتبها ، ولكننا لا ندري المقصود بكتبها هل تواليفها ام ممتلكاتها ، بلغت هذه العالمة من العمر سبعاً ومائة سنة تقريباً وكانت وفاتها سنة (423 هـ) .

45 – فاطمة بنت زكريا الكاتب المعروف بالشبلارو(2)

كاتبة متمكنة ، تتقن فن الخط عاشت عمراً طويلاً حتى شارفت الرابعة والتسعين توفيت سنة (427 هـ) بكراً ثم دفنت بمقبرة ام سلمة .

46 – امة الرحمن بنت احمد بن عبدالرحمن العبسو(3)

زاهدة فاضلة صوامة قوامة سمع عنها ابو محمد بن خزرج بعضاً مما روته عن ابيها ، لم تتزوج قط وفي شعبان سنة (440 هـ) توفيت وسنها تناهز الثمانين .

47 – خديجة بنت ابي محمد بن سعيد الشنتجالي(1)

عاشت في القرن الخامس الهجري وان لم يذكر ابن بشكوال سنة ولادتها او وفاتها لان اباها هو ابو محمد عبد الله بن سعيد العالم المشهور المتوفى سنة (436 هـ) ، وهي فاضلة محدثة سمعت مع ابيها من الشيخ ابي ذر عبد الله بن احمد الهروي الحافظ صحيح البخاري كما شاركت اباها في السماع من شيوخه بمكة المكرمة .

اما الشنتجالي فنسبة الى شنتجالة مدينة معروفة ايام الحكم العربي وفيها يقول ياقوت في معجمه « شنتجالة بالاندلس وبخط الاشتر شنتجيل بالياء » .

48 – اشراق السويداء (2)

لم يسمها في النفح ، واكتفى بقوله انها مولاة ابي المطرف عبدالرحمن ابن غلبون الكاتب اما ابن الآبار في التكملة فقد سماها اشراق السويداء ، هذه المرأة العالمة سكنت بلنسية وتعلمت على مولاها النحو واللغة وتفوقت في علم العروض ، وكانت تستظهر (الكامل) و (النوادر) للقالي مع فهم جيد ، اذ كانت تقوم بشرحهما ، وقد قرأ عليها ابو داود بن سليمان بن نجاح الكتابين المذكورين ، ودرس عليها علم العروض ، وكانت وفاتها بدانية في حدود الخمسين والاربعمائة هجرية ، كما عند المقري ، بيد ان ابن الآبار في التكملة يصرح بوفاتها سنة (443 هـ) ومهما يكن فوفاتها كانت خلال العقد الخامس بعد الاربعمائة .

49 – ابنة فايز القرطبي[1]

هي زوجة ابي عبد الله بن عبار ، اشتهرت بولعها للعلم والادب ، اخذت عن ابيها فايز علم التفسير واللغة والنحو والشعر ، واخذت عن زوجها علوم الفقه، وارادت ان تأخذ عن ابي عمرو الداني القراءات ولكن املها خاب عندما قصدت ابا عمرو فوجدته مريضاً، ورغم ذلك لم تتقاعس عن تحقيق امنيتها ، اذ توجهت الى ابي داود احد اصحابه وقرأت عليه ببلنسية بالقراءات السبع ، وبعد ذلك حجت وتوفيت سنة (446 هـ) .

50 – ريحانة جارية الطبيب ابي عبدالله الكناني[2]

هذه الجارية المثقفة الاديبة كانت على قيد الحياة في القرن الخامس الهجري اشتراها هذيل بن خلف بن رزين امير شنتمرية المتوفي سنة (436هـ) من الطبيب ابي عبد الله الكناني بثلاثة آلاف دينار ، وكانت تتسم بخفة الروح وعذوبة الغناء ، ورخامة الصوت وتعرف بجودة الكتابة والخط وحضور البديهة مع ثقافة ادبية ونحوية ولغوية وعروضية وطبية بالاضافة الى اتقانها أنواعاً من اللعب بالسيوف والخناجر .

51 – ريحانة تلميذة ابي عمرو المقري[3]

عاشت في القرن الخامس الهجري اذ تلمذت على امام وقته في القراءات

عثمان بن سعيد بن عثمان ابي عمرو المتوفى سنة (444 هـ) فأخذت عنه علوم القراءات بالمرية ، وكانت اثناء دراستها عليه تقعد خلف ستار فتقرأ عليه ويشير لها بقضيب بيده الى الموقف فأتمت دراسة السبع ثم روايات اخرى غيرها وبعد ذلك أجازها .

52 – حبيبة بنت عبدالعزيز بن موسى بن سباع[1]

ولدت سنة (437 هـ) وتزوجت ابا القاسم بن مدير الخطيب المقرى ، قرأت على ابي عمر بن عبد البر كتبه ، واخذت عن ابي العباس العذري ، وكانت حسنة الخط فاضلة متدينة ماتت سنة (506 هـ) .

53 – هند جارية عبدالله بن مسلمة الشاطبي[2]

شاعرة رقيقة ، اديبة ظريفة لم يذكر المقرى سنة ميلادها ولا سنة وفاتها ، ولا ريب في انها عاشت في القرن السادس الهجري لانها عاصرت الوزير الاديب ابا عامر محمد بن ينق المتوفى سنة (547 هـ) .

كتب لها ابن ينق السابق الذكر يدعوها للحضور لديه بعودها يقول لها :

يا هِنْدُ هلْ لكِ في زيارةِ فِتْيَةٍ
نَبَذُوا المَحَارِمَ غيرَ شُرْبَ السَّلْسَلِ

سَمِعوا البَلابلَ قَدْ شَدَوا فتَذَكّروا
نَغَمَاتِ عُودِكِ في الثّقيلِ الأولِ

فأجـــابته :

يا سيداً حازَ العُلا عن سَادةٍ شُمّ الأنوفِ من الطّرازِ الأوّلِ
حَسْبي مِنَ الاسراعِ نَحْوَكَ أنني كُنْتُ الجوابَ مع الرّسول المُقْبِلِ

54 – خديجة بنت ابي علي الصدفي(1)

نشأت نشأة صالحة ، حفظت القرآن الكريم ورصيداً من الاحاديث النبوية الشريفة واولعت بالمطالعة والاطلاع ، تزوجها صاحب الصلاة بمرسية عبد الله بن موسى بن برطلة ، فأنجبت له ابا بكر عبد الرحمن ، عمرت طويلاً الى ان جاوزت الثمانين ، وتوفيت بعد انصرام سنة (590 هـ) .

55 – ام الهناء بنت القاضي ابي محمد عبدالحق(2)

اورد هذه الكنية (ام الهناء) المقري من غير اسم في حين أكد ابن عبد الملك بأن اسمها هو امة الرحمن وكنيتها ام هاني معتمداً في ذلك على ما وجده في تأليف لها في الادعية وقف عليه بنفسه .

ولقد درست امة الرحمن على ابيها فكانت مثال المرأة المثقفة، وتميزت بحضور البديهة ورجاحة العقل وسرعة التمثل ، ألفت كتاباً في موضوع القبور وآخر في الادعية كما سبق .

يحكى ان اباها لما ولي قضاء المرية دخل داره وعيناه تترقرقان بالدموع حزناً على مفارقة بلده فقالت متمثلة :

يا عينُ صارَ الدمعُ عندَكِ عادَةً تَبْكينَ في فَرَحٍ وفي أحْزَانِ

وليس من شك في ان هذه الاديبة عاشت في القرن السادس الهجري وان لم يصل بذلك المقري وغيره لان اباها القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الفقيه الاديب اللغوي ولي القضاء بالمرية في شهر محرم (529 ﻫ) وتوفي سنة (541 ﻫ) بمدينة لورقة كما يقول النباهي في كتابه (المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا)(1) ، ومع ذلك لا نستطيع الجزم بسنة وفاتها وما يمكن ان نطمئن اليه هو انها كانت تعيش عام تولى ابوها القضاء بالمرية ، وفي ذلك العام بالضبط تمثلت بالبيت الشعري الآنف الذكر .

56 – فاطمة بنت سعد الخير(2)

سمعها ابوها باصبهان وبغداد ، وروت بمصر وماتت في ربيع الاول سنة (600 ﻫ) وسماعها صحيح ذكره ابن نقطة كما في التكملة .

57 – فاطمة بنت ابي القاسم القرطبي(3)

هي فاطمة بنت ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن غالب القرطبي الشراط (ام الفتح) اخذت عن ابيها قراءة نافع ، واستظهرت عليه (الشهاب) للقضاعي و (مختصر) الطليطلي واشتغلت معه في مقابلة السيرة لابي اسحاق وصحيح مسلم وقرأت القرآن على ابي عبد الله الاندوجري الزاهد وابي عبد الله بن المفضل الضرير ، حدث عنها ابنها ابو القاسم بن الطيلسان ، وقرأ عليها بقراءة ورش وماتت سنة (613 ﻫ) .

58 – ام العز بنت محمد العبدري(1)

ابوها هو محمد بن علي بن ابي غالب العبدري الداني ، روت عن ابيها وابي الطيب بن برنجال ، وكذلك عن زوجها ابي الحسن بن الزبير وابي عبد الله بن نوح ، وكانت تتقن القراءات السبع ، وانتقلت الى باريها سنة (616 هـ) .

59 – مهجة بنت عصام(2)

اديبة رقيقة وشاعرة ظريفة توفيت سنة (617 أو 618 هـ) بمدينة قرطبة .

60 – زينب بنت محمد الزهري(3)

ابوها هو محمد بن احمد بن عبد الرحمن الزهري البلنسي وتعرف بعزيزة بنت ابن محرز كانت تقية صالحة سمعت جدها لأمها ابا الحسن بن هذيل واخذت عنه (التقصي) لابن عبد البر ، وانتقلت الى جوار ربها سنة (635 هـ) . بعد ان بلغت الثمانين .

61 – ام العز بنت احمد بن علي بن هذيل(4)

عرفت ام العز هذه باستظهارها للاشعار وتفوقها في حفظها ، اخذت

قراءة نافع عن ام معفر زوجة الامير محمد بن سعد وتوفيت بمدينة شاطبة سنة (636 هـ) .

62 — سعيدة بنت عبدالغني العبدرية(1)

وهي ام العلا الغرناطية ، حفظت القرآن الكريم وتعلمت فصارت استاذة في قصور الملوك وانتقلت الى تونس وعلمت بها ، ومن اعمالها انها نسخت (احياء علوم الدين) للغزالي ، وعرفت هذه الاستاذة بالمواظبة على العبادة وتوفيت سنة (647 هـ) .

63 — ام الحسن بنت ابي جعفر الطنجالي(2)

شاعرة طبيبة تجود القرآن ، مشاركة في كثير من الفنون ، وابوها هو ابو جعفر احمد الطنجالي ، والطنجاليون من النبعة الهاشمية ينسبون الى جعفر ابن عقيل بن ابي طالب .

تحدث عن هذه الاديبة ابن الخطيب في الاحاطة ولكنه لم يعرج بالحديث على سنة ولادتها ووفاتها ولا شك — حسب ما يبدو لي — انها عاشت في القرن الثامن الهجري لان اباها السالف الذكر — ان صح انه ابوها — من شيوخ لسان الدين بن الخطيب — كما عند المقري — المتوفى سنة (776 هـ) .

من شعرها قولها عندما سألها بعض الناس عن الخط :

الخَطّ لَيْسَ له في العِلْمِ فَائِدَةٌ   وإنما هو تزيينٌ لِقِرطاسِ
والدرسُ سُؤْلِي لا أبْغي به بَدَلاً   بِقَدْرِ علمِ الفَتَى يَسْمو على الناسِ

ومن شعرها في المدح قولها :

ان قِيلَ مَنْ في الناسِ رَبّ فضيلةٍ حازَ العُلا والمَجْدُ منه أصيلُ
فأقولُ رِضوانٌ وحيدُ زمــانِهِ إنّ الزمانَ بِمِثْلِهِ لبَخِيلُ

64 – فتحونة بنت جعفر بن جعفر(1)

اديبة من مرسية لها تأليف في قيان الاندلس وتعرف بأم الفتح ذكرها ابن عبد الملك ولم يعين الفترة الزمنية التي كانت تعيش فيها .

65 – زينب المرية(2)

اديبة شاعرة ذكرها المقري وابن عبد الملك بدون ذكر عام ولادتها او وفاتها أو ذكر ابيها او من يمكن بواسطته ان نتوصل الى الحقبة الزمنية التي عاشتها وما اقوله اشارت إليه زينب فواز العاملي في كتابها (الدر المنثور) بقولها « هي ابنة احد مشاهير العرب ولدت بالمرية من اعمال الاندلس ولم نقف على تاريخ ولادتها واسم ابيها ، والذي وصل الينا انها كانت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وأدب وظرف وتهذيب ولطف ، رقيقة المعاني جزلة الالفاظ الخ ... »(3)

من شعرها الرقيق الجميل الذي يدل على قدرة فنية ، وحاسة شعرية مرهفة قولها معبرة عن وجدها :

يَا ايّها الرّاكبُ الغَادي لِطَيّتِهِ عَرّجْ أنَبّئْكَ عن بعضِ الذي أجدُ
ما عَالَجَ الناسُ من وَجْد تَضَمّنَهم الاوَوَجْدي بِهِم فوقَ الذي وَجَدوا
حَسْبِي رضاهُ وأنّي في مَسَرّته وَوُدّهِ آخرَ الايــامِ اجْتَهِدُ

الهوامش

ص 24

(1) انظر عفيفي عبد الله. المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ج1 ص55 مطبعة الاستقامة القاهـــرة .

ص 25

(1) انظر بيهم محمد جميل . المرأة في حضارة العرب ص73 دار النشر للجامعيين 1962 .

ص 26

(1) المقدسي انيس . امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص111 ط بيروت 1961 .

ص 31

(1) انظر المقري احمد . نفح الطيب تحقيق احسان عباس ط بيروت 1388 – 1968 .

ص 32

(1) راجع هيكل احمد الادب الاندلسي ص99 وما بعدها ط مصر 1962 .

ص 33

(1) يرى الاستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي رحمه الله في كتابه (تاريخ آداب العرب) ج3 ص163 ان سبب اختراع الموشح هو الغناء لا غير ثم انظر ما قاله ضيف (شوقي) (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) ص450 وما بعدها من آراء في الموضوع – ط مصر 1969 وكذا عباس (احسان) تاريخ الادب الاندلسي – عصر الطوائف والمرابطين) ص216 وما بعدها ط دار الثقافة بيروت 1962 وكذا عوض الكريم (مصطفى) (فن التوشيح ص99 ط دار الثقافة بيروت 1959 .

ص 34

(1) ابن عبد ربه (احمد) العقد الفريد ج 6 ص240 وما بعدها تحقيق محمد سعيد العريان ط مصر 1372 – 1953 .

(2) لا يغرب عن الاذهان ان الاندلسيين لم يكونوا هم السابقين الى الشعر التعليمي اذ سبقت محاولات في ذلك قبلهم واذكر على سبيل المثال ابان بن عبد الحميد اللاحقي الذي نظم كليلة ودمنة لابن المقفع .

ص 35

(1) ابن فرح هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح بالحاء المهملة ولد سنة 625 وتوفي سنة 699 وراجع ترجمته بتفصيل في النفح ج2 ص 528 وما بعدها تحقيق احسان عباس .

(2) الصحيح والمعضل والمسلسل ألقاب حديثية راجعها في مصادرها كحاشية ابن الخياط على شرح محمد الفاسي ط فاس

(3) البيت يبين فيه ابن فرح كيف تتوصل لان تعرف اسم من يتغزل فيه وهو ان تأخذ فعل (ابر) و (اهيم) فيصبح (ابراهيم) وذلك في البيت الاخير .

(4) يحسن الرجوع إلى ما كتبه الأستاذ كنون عن خصائص الشعر الأندلسي في كتابه (راحة الفكر) ص 16 ط تطوان 1367 وكتابه (التعاشيب) ص 14 ط تطوان .

ص 36

(1) سيأتي الحديث عن واحد منهم قريباً .

ص 38

(1) تاريخ آداب العرب ج3 ص 311 .

(2) ص 101 – 102 .

ص 40

(1) المرأة في حضارة العرب ص 239 ط دار النشر للجامعيين 1962 .

ص 41

(1) راجع عنان (محمد عبد الله) الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ص 430 وما بعدها ط مصر 1381 – 1961 .

ص 45

(1) النفح الطبعة السابقة ج3 ص 140 وما بعدها .

ص 46

(1) راجع صفحة 32 .

(2) الشعر الاندلسي ص 31 ترجمة حسين مونس ط مصر 1956 .

(3) اقرأ اخباراً عنه عند ابن سعيد (علي). المغرب ج2 ص123 ـ124 تحقيق شوقي ضيف ط دار المعارف.
(4) اقرأ عنه في المغرب ج 1 ص324 ـ325 نفس الطبعة السابقة.

ص 47

(1) النفح ج4 ص167 ـ 168، ويحسن الرجوع الى ترجمة الأستاذ عبد السلام الهراس لبحث المستشرق الإسباني إلياس تيرس عن حسانة وأبيها المنشورة بمجلة دعوة الحق المغربية العدد 2 ـ 1388 ص 61 وما بعدها.

ص 49

(1) تاريخ آداب العرب ج3 ص 317.

ص 50

(1) انظر الضبي (احمد بن عميرة) بغية الملتمس ص530 ترجمة 1589 نشره كوديرا ط 1884.

ص 51

(1) النفح ج3 ص140 ـ 141.

ص 55

(1) يرى الدكتور أحمد هيكل في كتابه الأدب الاندلسي ص197 ان فترة الخلافة الحقيقية هي فترة حكم عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم الثاني لان الفترات الزمنية الاخرى لم يكن خلالها للخلافة الأموية إلا الاسم.
(2) لم يكن الحكم جماعاً للكتب فقط، بل كان مولعاً بالقراءة ذلك انه كان يقرأ كل ما يجمع ويعلق عليه بخط يده ويكتب على كل مؤلف اسم صاحبه وكنيته لقبه واسم عائلته، وقد كانت هذه التعليقات موضع تقدير العلماء والمحققين.
(3) رقم الحلل في نظم الدول ص 39 ط تونس 1316 هـ.

ص 56

(1) للاستزادة من المعلومات حول هذا الاتجاه راجع البهبيتي نجيب محمد. تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري ص484 ط مصر 1961.

ص 57

(1) الادب الأندلسي ص 220.

ص 58

(1) انظر ابن بشكوال (ابو القاسم) . الصلة ج2 ص630 ترجمة رقم 1412 نشره كوديرا ط مجريط 1883 . وانظر النفح ج4 ص290 .

ص 60

(1) المغرب ج2 ص37 – 38 والنفح ج4 ص285 – 286 .
(2) الحجارة جمع حجر كورة بالأندلس يقال لها وادي الحجارة ينسب اليها جماعة منهم محمد ابن ابراهيم بن حيون وسعيد بن مسعدة الحجاري راجع ياقوت (شهاب الدين) . معجم البلدان ج3 ص217 ط مصر 1324 .
(3) نسب البيتين عبد الله عفيفي في كتابه المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ج3 ص147 لحفصة الركونية والصحيح ما أثبتناه .

ص 62

(1) راجع الضبي (احمد بن عميرة) بغية الملتمس ص529 ترجمة 1585 نشره كوديرا ط مجريط 1884 والصلة ج 2 ص635 ترجمة رقم 1424 والنفح ج4 ص170–171 والمغرب ج2 ص192 .

ص 64

(1) انظر بغية الملتمس ص528 ترجمة رقم 1584 والصلة ج2 ص634 ترجمة رقم 1423 والنفح ج4 ص291 .

ص 66

(1) بغية الملتمس ص527 ترجمة رقم 1583 والصلة ج2 ص631 ترجمة رقم 1416 .

ص 69

(1) رقم الحلل في نظم الدول ص45 .
(2) المصدر السابق .
(3) الشعر الاندلسي ص44 .

ص 70

(1) عباس (احسان) . تاريخ الأدب الاندلسي–عصر الطوائف والمرابطين ص72 ط بيروت 1962 .
(2) انظر المراكشي (عبد الواحد) . المعجب ص101 .

ص 71

(1) انظر بتفصيل عباس (حسن) تاريخ الأدب الاندلسي - عصر الطوائف ص 117 وما بعدها .

ص 72

(1) النفح ج 3 ص 189 وما بعدها .

ص 73

(1) انظر ابن بسام (أبو الحسن) . الذخيرة 1 - 1 ص 376 والصلة ج 2 ص 632 ترجمة رقم 1418 والنفح ج 4 ص 205 وما بعدها .
(2) ذكر الفتح بن خاقان في قلائد العقيان ص 75 ط مصر 1320 انها بنت المهدي كما ذكر ذلك المراكشي في المعجب ص 106 و ص 110 والثابت انها بنت محمد بن عبد الرحمن المعروف بالمستكفي .

ص 74

(1) الذخيرة 1 - 1 ص 376 .
(2) الصلة 632 .

ص 75

(1) الذخيرة 1 - 1 ص 376 .
(2) الذخيرة 1 - 1 ص 377 .

ص 77

(1) المغرب ج 1 ص 143 تحقيق شوقي ضيف ط مصر 1962 .
(2) الشعر الاندلسي ص 49 .

ص 78

(1) راجع لوينسون . (ريشارد). تاريخ العلاقات الجنسية . ترجمة امين سلامة ج 2 ص 94

ص 79

(1) عبد العظيم (علي) . ابن زيدون ص 130 وما بعدها سلسلة اعلام العرب ط مصر 1971 .
(2) البيت لابي نواس وهو مطلع لقصيدة له في مدح الخصيب عامل الرشيد على مصر ، وولادة بحسها الأدبي نقلت البيت نقلا لطيفاً من المدح إلى الهجاء .

ص 81

(1) ص 74 .

(2) 1 – 1 ص 377 .

(3) جـ 4 ص 206 .

(4) ط 1351 بشرح وضبط كامل الكيلاني وعبد الرحمن خليفة .

(5) ط 1375 شرح وتحقيق محمد سيد كيلاني .

(6) وفيات الاعيان جـ 1 ص 123 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط مصر 1367 – وقد نسب هذه الابيات عبد الله عفيفي في كتابه المرأة العربية في جاهليتها واسلامها جـ 3 ص 131 لولادة وكذلك محمد جميل بيهم في كتابه المرأة في حضارة العرب ص 244 وعيسى سابا في كتابه غزل النساء ص 51 ط بيروت 1953 ، ومن دون شك ان أولئك اعتمدوا في ذلك على المقري في النفح ، ولجمال هذه الابيات عارضها شوقي بقصيدة يقول في أولها :

ردت الروح الى المضنى معك   احسن الايام يوم ارجعك

(7) كتابة ولادة البيتين على ثوبها شيء مألوف ولكن لدى الجواري كعنان الجارية المشهورة التي كتبت على عصابتها باللولو (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

ص 83

(1) النفح جـ 4 ص 207 .

(2) ابن زيدون ص 22 سلسلة نوابغ الفكر العربي ط مصر 1959 .

(3) النفح جـ 4 ص 207 .

ص 84

(1) الذخيرة 1 – 1 378 .

(2) لأ بن زيدون رسائل أدبية نجدها في الذخائر من بينها الرسالة الهزلية وقد شرحها ابن نباتة في كتابه سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون والرسالة الجدية المعروفة التي بعثها الى ابن جهور مستعطفاً وشرحها الصفدي في كتابه تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون في حين ينص المقري في النفح جـ 4 ص 297 ان الرسالة الهزلية شرحها ابن نباتة والصفدي ولعل ذلك سبق قلم منه وهو في غمرة الحديث عن الرسالة الهزلية والمسترعي للنظر ان المحقق لم ينبه على ذلك .

(3) ديوان ابن زيدون تحقيق محمد سيد كيلاني – قسم الرسائل ص 246 .

ص 86

(1) انظر النفح جـ 4 ص 206 .

(2) نفس المصدر و جـ و ص .

(3) نفس المصدر و جـ و ص .

ص 88

(1) المغرب جـ 1 ص 143 والنفح جـ 4 ص 239 .

(2) نفس المصدرين السابقين .

(3) النمح جـ 4 ص 293 .

(4) نفس المصدر السابق .

ص 89

(5) المغرب جـ 1 ص 143 .

ص 90

(1) المغرب جـ 2 ص 121 والنفح جـ 1 ص 192 – 193 و جـ 4 ص 295 وما بعدها .

ص 91

(1) النفح جـ 1 ص 190 .

(2) البيت أخذ من قول المتنبي يمدح كافوراً .

قواصد كافور تــوارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

ص 92

(1) النفح جـ 1 ص 193 .

ص 94

(1) المغرب جـ 2 ص 38 والنفح جـ 4 ص 169 .

ص 95

(1) النفح جـ 4 ص 286 .

ص 97

(1) المغرب جـ 2 ص 202 – 203 والنفح جـ 4 ص 170 .

ص 98

(1) النفح جـ 4 ص 283 .

ص 99

(1) النفح جـ 1 ص 440 و جـ 4 ص 211 – 212 و ص 272 – 273 . . .

ص 100

(1) المصدر مشتق من الفعل او الفعل مشتق من المصدر مسألة خلافية بين المدرسة البصرية والكوفية ومبسوطة في كتب النحو وراجع على سبيل المثال الانباري (عبد الرحمن الانصاف في مسائل الخلاف ج 1 ص 235 وما بعدها – المسألة الثامنة والعشرون تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط مصر 380 1 . والى ذلك يشير ابن مالك في الفيته بقوله :

بمثله او فعل او وصف نصب وكونه اصلا لهذين انتخب

والى ذلك ايضاً يشير الحريري بقوله في منظومته ملحة الا عراب وسنخة الآداب :

واوجبت له النحاة النصبا ومنه يا صاح اشتقاق الفعل
والمصدر الاصل وأي أصل كقولهم ضربت زيداً ضربا

(2) هذا افتراض منا ليس الا ، ولا مصدر لنا نعتمد عليه فيه يدلنا على تعمده هذا الاشتقاق النحوي بالذات سوى ما نعرفه عن حسه الادبي ، مع العلم بأن المصادر حاولت الاشارة الى ذلك بقولها ان المعتمد اختار لنفسه لقباً يناسب اسمها وكان يعرف من قبل بمحمد الظافر والمؤيد ، انظر ابن الأبار في الحلة السيراء ج2 ص 62 حققه حسين مؤنس ، ط مصر 1638 .

ص 102

(1) النفح ج 4 ص 284 – 285 .

ص 104

(1) النفح ج 3 ص 530

ص 109

(1) ص 65 وما بعدها ط بيروت 1961 .

ص 110

(1) ص 238 – 239 .

ص 111

(1) النفح ج 4 ص 228 .

ص 112

(1) ابن الأبار (ابو عبد الله) التكملة ج 2 ص 746 ترجمة رقم 2120 نشر كوديرا 1887 والاحاطة ج 1 ص 315 ط مصر 1319 هـ . والمغرب ج 2 ص 145 – 146 والنفح

ج 4 ص 282 وما بعدها وياقوت (شهاب الدين) معجم الأدباء ج 10 ص 224 وما بعدها ط فريد رفاعي .

(2) ص 145 .

(3) ج 4 ص 287 .

ص 115

(1) ج 1 ص 126 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط 1367 - 1948 .

(2) ج 1 ص 227 تحقيق عبد العزيز الميمني ط مصر 1936 .

(3) ج 4 ص 288 - 289 .

ص 116

(1) وفيات الاعيان ج 1 ص 127 .

(2) وفيات الاعيان ج 1 ص 126 .

ص 118

(1) النفح ج 4 ص 294 .

(2) شلب بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره باء موحدة هكذا سمعت من أهل الاندلس يتلفظون بها ، وقد وجدت بخط بعض أدبائها شلب بفتح الشين وهي مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام وهي غربي قرطبة . راجع هذا عند ياقوت (شهاب الدين) ج 3 ص 357 باب الشين واللام وما يليهما دار صادر 1957 .

ص 119

(1) المغرب ج 2 ص 138 وما بعدها والنفح ج 4 ص 171 وما بعدها والاحاطة ج 1 ص 316 ومعجم الادباء ج 10 ص 219 ، ولويس دي جياكومو الشاعرة الغرناطية في عصر الموحدين حفصة بنت الحاج ط باريس 1949 .

(2) هو اقليم جبلي وعر في الجنوب الاسباني بين البحر الابيض وسيرانبادا **Siera Nevada** والبحر الابيض ، وفي وديانه ومنحدراته تزرع الكروم ، وتوجد فيه المراعي الكثيرة . وقديما كان اقليماً مشهوراً بالتهريب ، وسكانه اليوم من ارومة عربية يشتغلون بالزراعة ، وهذا الاقليم كان مسرحاً للثورات الكثيرة ايام الحكم العربي ، وقد استقل مرتين عن امراء قرطبة فأصبح له حاكم خاص ، انظر الاصل الاسباني لهذه الترجمة بدائرة المعارف الاسبانية **Monitor** ج 1 ص 246 .

(3) ص 21 .

ص 120

(1) النفح ج 4 ص 179 وما بعدها ، والمغرب ج 2 ص 642 . وما بعدها .

ص 121

(1) النفح جـ ٤ ص 181 والمغرب جـ2 ص 164 .
(2) معجم الأدباء جـ10 ص 220 – 221 .
(3) المغرب جـ2 ص 164 .
(4) نفس المصدر السابق .

ص 122

(1) المعجب ص 197 تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ط مصر 1368 – 1949 .

ص 129

(1) تاريخ آداب العرب جـ 3 ص 105 .
(2) النفح جـ4 ص 176 .

ص 130

(1) راجع لويس دي جياكومو حفصة بنت الحاج ص 101 ، وقد جمع لويس في كتابه هذا ما توصل اليه من اشعار حفصة تحت عنوان البقايا المخلصة من اشعار حفصة وذلك من ص 95 الى ص 101 .
(2) ص 86

ص 131

(١) راجع سويف (مصطفى) الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة ص 275 وما بعدها ط مصر 1959 .

ص 132

(١) التكملة جـ2 ص 748 ترجمة رقم 2128 والنفح جـ4 ص 166 .
(2) جـ3 ص 183 – 184 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط مصر 1375 هـ .
(3) جـ4 ص 194 .

ص 135

(1) الصلة جـ2 ص 632 ترجمة رقم 1949 .
(2) الصلة جـ2 ص 630 ترجمة 1414 .
(3) النفح جـ1 ص 400 وجـ3 ص 89 وانظر ابن عبد الملك (أبوعبد الله) . الذيل والتكملة الجزء المخطوط بقسم المخطوطات بالرباط تحت رقم (1705 د) .

ص 136

(1) الصلة جـ 2 ص 630 ترجمة رقم 1413 والسيوطي (جلال الدين) . بغية الوعاة ص 383 ط مصر 1326 .
(2) الصلة جـ 2 ص 631 ترجمة رقم 1415 .
(3) الصلة ص 633 ترجمة رقم 1420 وبغية الملتمس ص 531 ترجمة رقم 1594 .

ص 137

(1) الصلة جـ 2 ص 631 ترجمة رقم 1417.
(2) الصمة جـ 2 ص 633 ترجمة رقم 1422.
(3) الصلة جـ 2 ص 633 ترجمة رقم 1421 .

ص 138

(1) الصلة جـ 2 ص 635 ترجمة رقم 1425 .
(2) التكملة جـ 2 ص 745 ترجمة رقم 2115 والنفح جـ 4 ص 171 .

ص 139

(1) التكملة جـ 2 ص 746 ترجمة رقم 2118 .
(2) ارسلان (شكيب) الحلل السندسية جـ 2 ص 101 ط 1355 هـ .
(3) بغية الملتمس ص 398 ترجمة 1185 ص 531 ترجمة 1592 .

ص 140

(1) الصلة جـ 2 ص 636 ترجمة 1426 وفيه بنت مناع وانظر التكملة ص 746 ترجمة 2119 وفيه بنت سباع .
(2) النفح جـ 4 ص 293 .

ص 141

(1) التكملة جـ 2 ص 747 ترجمة 2121 .
(2) النفح جـ 4 ص 292 والذيل والتكملة القسم المخطوط السابق الذكر .

ص 142

(1) ص 155 نشر إ . ليفي بروفنصال ط 1948 .
(2) التكملة جـ 2 ص 748 ترجمة 2123 .
(3) التكملة جـ 2 ص 747 ترجمة 2124 .

ص 143

(1) التكملة جـ 2 ص 748 ترجمة رقم 2125 .

(2) الذيل والتكملة السابق الذكر .

(3) التكملة جـ 2 ص 748 ترجمة رقم 2126 .

(4) المصدر السابق نفس جـ و ص ترجمة رقم 2127 .

ص 144

(1) التكملة نفس جـ و ص ترجمة رقم 2129 .

(2) الاحاطة جـ 1 ص 265 .

ص 145

(1) الذيل والتكملة الآنف الذكر .

(2) ص 22ط 1 312 .

(3) النفح جـ 4 ص 266 .

●●●

مصادر الكتاب

ابن الآبار (ابو عبد الله) :

– التكملة لكتاب الصلة (ج . 1 – 2) . نشر كوديرا . ط مجريط 1886 .

– اعتاب الكتاب . تحقيق الدكتور صالح الاشتر . 1961 .

ابن ابراهيم (عباس) :

– الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام . ط فاس . 1355 – 1937

ارسلان (شكيب) :

– الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية (ج 1 – 2) ط 1355

الانباري (عبد الرحمن) :

– الانصاف في مسائل الخلاف . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط مصر 1380 .

بالنثيا (انخل) :

– تاريخ الفكر الاندلسي . ترجمة الدكتور حسين مونس ط مصر 1955 .

ابن بسام (علي) :

– الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة – القسم الاول – المجلد الاول . لجنة التأليف والترجمة والنشر 1358 – القاهرة .

ابن بشكوال (ابو القاسم) :

– الصلة (ج 1 – 2) ط مجريط 1882 .

البكري (ابو عبيد) :

ـ سمط اللآلي في شرح امالي القالي (جـ 1) تحقيق عبد العزيز الميمني ط مصر 1936 .

بلافريج (احمد) :

ـ الادب الاندلسي بالاشتراك مع عبد الجليل خليفة تطوان 1360 .

البهبيتي (نجيب) :

ـ تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ط القاهرة 1961 .

بيهم (محمد جميل) :

ـ المرأة في حضارة العرب ـ دار النشر للجامعيين 1962 .

الثعالبي (ابو منصور عبد الملك) :

ـ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر (جـ 2 ـ 3) . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط مصر 1375 .

حتي (فليب) :

ـ تاريخ العرب ـ مطول بالاشتراك مع ادوار جرجي وجبرائيل جبور (جـ 3) ط بيروت 1953 .

الحميدي (ابو عبد الله محمد) :

ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس . تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ط مصر 1372 .

ابن حيان (ابو مروان) :

ـ المقتبس في اخبار بلد الاندلس . تحقيق عبد الرحمن علي الحجي . دار الثقافة بيروت .

ابن خاقان (الفتح) :

ــ قلائد العقيان . ط مصر 1320 .

ــ مطمح الانفس . ط مصر 1325 .

ابن الخطيب (لسان الدين) :

ــ الاحاطة (ج 1) ط مصر 1319 .

ــ رقم الحلل في نظم الدول ط تونس 1316 .

ــ الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة . تحقيق الدكتور احسان عباس ــ دار الثقافة بيروت .

ابن خلدون (عبد الرحمن) :

ــ المقدمة . ط بيروت 1956 .

ابن خلكان (احمد) :

ــ وفيات الاعيان (ج 1 ــ 4) . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط مصر 1367 .

ابن دحية (ابو الخطاب) :

ــ المطرب من اشعار اهل المغرب . تحقيق ابراهيم الابياري وآخرين ط مصر 1954 .

دوزي (رينهاربت) :

ــ تاريخ مسلمي اسبانيا . ترجمة حسن جبشي ط مصر 1963 .

الرافعي (مصطفى صادق) :

ــ تاريخ آداب العرب (ج 3) اخراج محمد سعيد العريان ط مصر 1363 .

الرعيني (علي) :

ــ برنامج شيوخ الرعيني . تحقيق ابراهيم شبوخ ط 1381 .

الركابي (جودت) :

ــ الطبيعة في الشعر الاندلسي ط دمشق .

الزركلي (خير الدين) :

ــ الأعلام ط 3 .

ابن زيدون (ابو الوليد احمد) :

ــ ديوان شعره شرح وضبط كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة ط 1351 .
و طبعة اخرى قام بتحقيقها محمد سيد كيلاني سنة 1375 .

سالم (عبد العزيز) :

ــ تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ط لبنان 1962 .

سابا (عيسى) :

ــ غزل النساء ط بيروت 1953 .

ابن سعيد (علي بن موسى) :

ــ المغرب في حلى المغرب (ج 1 ــ 2) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط دار المعارف مصر .

سويف (مصطفى) :

ــ الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة . ط مصر 1959 .

السيوطي (جلال الدين) :

ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ط مصر 1326 .

الصفدي (صلاح الدين) :

ــ الوافي بالوفيات (ج 1) ط استنبول 1931 .

صفوان (بن ادريس) :

– زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر اعده وعلق عليه عبد القادر محداد ط بيروت 1970 .

صقر (عبد البديع) :

– شاعرات العرب ط 1387 – 1967 .

صوفي (خالد) :

– تاريخ العرب في اسبانيا – دار الكتاب العربي .

الضبي (احمد بن عميرة) :

– بغية الملتمس نشره كوديرا 1884 .

ضيف (شوقي) :

– الفن ومذاهبه في الشعر العربي ط 6 . دار المعارف مصر .
– ابن زيدون ط 2 . دار المعارف مصر .

الطباخ (محمد راغب) :

– اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (جـ 4) ط 1343 .

الطود (عبد السلام) :

– بنو عباد باشبيلية ط تطوان 1365 .

عاصي (ميشال) :

– الشعر والبيئة في الاندلس ط بيروت 1970 .

عباس (احسان) :

– تاريخ الادب الاندلسي – عصر سيادة قرطبة . ط بيروت 1960 .
– تاريخ الادب الاندلسي – عصر الطوائف والمرابطين . ط بيروت 1962 .

العبادي (عبد الحميد) :

– المجمل في تاريخ الاندلس ط مصر 1964 .

ابن عبد ربه (احمد)

– العقد الفريد (ج 6) تحقيق محمد سعيد العريان ط مصر 1372 – 1953 .

ابن عبد الملك (ابو عبد الله) :

– الذيل والتكملة القسم المخطوط بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم (1705 د)

ابن عذاري المراكشي :

– البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب . ليفي بروفنصال دار الثقافة – بيروت .

عفيفي (عبد الله) :

– المرأة في جاهليتها واسلامها (ج 1 – 2 – 3) مطبعة الاستقامة القاهرة .

عنان (محمد عبد الله) :

– الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ط مصر 1381 .

عوض الكريم (مصطفى) :

– فن التوشيح ط بيروت 1959 .

غومس (غرسيا) :

– الشعر الاندلسي . ترجمة الدكتور حسين مونس ط مصر 1952 .

فرويد (سيجموند) :

– سكولوجية النساء . دار العلم للملايين – بيروت .

ابن الفرضي (ابو الوليد) :

– تاريخ علماء الاندلس (ج 1 – 2) نشره كوديرا ط مجريط 1891 .

فواز (زينب) :

– الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ط مصر 1312 .

ابن الكتاني (محمد) :

– التشبيهات من اشعار اهل الاندلس . تحقيق احسان عباس – دار الثقافة بيروت .

كنون (عبد الله)

– النبوغ المغربي في الادب العربي ط بيروت 1961 .

المراكشي (عبد الواحد)

– المعجب في اخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ط مصر 1368 – 1949 .

المقري (احمد)

– نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . تحقيق احسان عباس ط بيروت 1388 – 1968 .

النباهي (ابو الحسن)

– المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . نشرة ليفي بروفنصال ط 1948

ابن نباتة (جمل الدين محمد)

– سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ط مصر 1305 .

هيكل (احمد)

– الادب الاندلسي ط مصر 1962 .

ياقوت (شهاب الدين)

– معجم البلدان ط مصر 1324 .
– معجم الادباء (جـ 10) طبعة الدكتور فريد رفاعي 1357 .

المجـــلات :

تيسرس (إلياس)

ـ (ترجمة عبد السلام الهراس) حسانة : دعوة الحق 2 — 88 ·

الريسوني (محمد المنتصر)

ـ قضية المعتمد بن عباد وابن تاشفين في ميزان الحقيقة ـ مجلة المعـــرفة السورية ـ العدد الثلاثون ـ السنة الثالثة 1964 ·

الزياني (عبد الرحمن)

ـ أديبات الاندلس ـ مجلة الانيس التطوانية ـ العدد 27 — 30 — 31 السنة 4 — 1368 — 1949 ·

مصادر اجنبية

Lousi di Giacomo, une poétesse grenodine des temps des Almohades Hafsa Bint Al Hajj Institut des HautesE tudes Marocaines 1949, P. 86

Claudio Sanchez Al Bornoz : La Espana Musulmana Buenos Aires 1946

Enciclopedia Monitor - Tomo 1º - P. 246

المحتويات

الفهارس